سلسلة في ظلال السنّة

الحديث الحادي عشر

# بين الأقصى و المسجد الحرام

## تحوّلت قيادة البشرية إلى أمّة الإسلام

الشيخ الدكتور
سالم بن عبدالغني الرافعي

بين الأقصى و المسجد الحرام تحوّلت قيادة البشرية إلى أمّة الإسلام
الشيخ الدكتور سالم الرافعي

# الحديث الحادي عشر

## بين الأقصى والمسجد الحرام

## تحوّلت قيادة البشرية إلى أمّة الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة في ظلال السنَّة

# الحديث الحادي عشر
# بين الأقصى والمسجد الحرام
# تحوّلت قيادة البشرية إلى أمّة الإسلام

الدكتور الشيخ
سالم بن عبدالغني الرافعي

دار ابن حزم

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

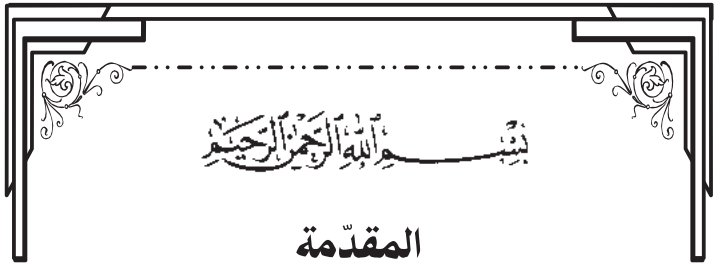


# المقدّمة

اللهم إنّا نحمدك حمداً يوافي نِعمك، ويُكافي مَزيدك، لا نُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك. ونصلي ونسلم على عبدك ورسولك وصفوتك من خلقك محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه، وبعد..

فإن السنّة النبوية ذَخَرت بكثير من الأحكام والمواعظ والعِبر. وقد دَرَج العلماء على مرّ العصور على تأليف المصنّفات في شرح أحاديث الأحكام وغيرها من أنواع الحديث، ليسهُل على الناس الإفادة منها.

ومعلوم أن لكل عصرٍ درجتَه في فهم العلوم واستيعابها، فما كان شرحاً يفهمه أهل عصر، قد يستعجم على من بعدهم حتى يحتاجوا إلى شرح للشرح، مع ما يستجدّ في حياة الأمة من هموم وأوضاع وتغيّرات.

لذلك حَسُن في رأيي أن يكون الشرح مناسباً لأهل كل عصر، يراعي مستواهم العلمي واللغوي، كما يتطرق إلى مشاكلهم المستجدّة، وليس إلى مشاكل عصر سبق لم تعد ذات بال عندهم.

وقد بدأت هذه الخطوة في خُطب الجمعة، إذ بدأت أشرح فيها جملة من أحاديث النبي ﷺ، وأربطها بالواقع الذي نعيش فيه. وهذا أعظم أثراً في النفوس من تحويل خطب الجمعة إلى نشرات أخبار سياسية، تخلو من ذكر الآيات والأحاديث، ولا تزيد في معطياتها عن أي نشرةٍ للأخبار، فتخرج بالخطبة عن موضوعها الذي شرعت لأجله، وهو وعظ الناس وتعليمهم.

ثم رأيت نشر هذه الخُطب في رسائل صغيرة عسى أن يعمّ نفعها، وسمّيتها: «**في ظلال السنّة**».

واللهَ أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

**وكتبه**

**الشيخ الدكتور سالم بن عبدالغني الرافعي**

**في طرابلس ـ لبنان**

**بتاريخ ٤/ذو الحجة/١٤٣٩هـ الموافق له ١٥/آب/٢٠١٨م**

# متن الحديث

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الأَقْصَى**». قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ**»[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٣٦٦، ومسلم برقم ١١٨٩.

# شرح الحديث

هذا حديث عظيم يخبرنا فيه الصحابي الجليل أبو ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنّه سأل النبي ﷺ عن أوّل مسجد بُني في الأرض؟ فبيّن له النبي ﷺ أنّه المسجد الحرام. والمسجد الحرام يُطلق في الشرع على عدّة مواضع. قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أنّ المسجد الحرام قد يُطلق ويُراد به الكعبة فقط، وقد يُراد به المسجد حولها معها، وقد يُراد به مكّة كلّها، وقد يُراد به مكّة مع الحرم حولها بكماله[1]، وقد جاءت نصوص الشرع بهذه الأقسام الأربعة.

**فمن الأوّل**: قول الله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2].

**ومن الثاني**: قول النبي ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي**

(١) أي مكة مع مِنى ومُزدَلِفة.

(٢) البقرة: ١٤٤.

هَـذَا خَـيْـرٌ مِـنْ أَلْـفِ صَـلَاةٍ فِـيـمَـا سِـوَاهُ إِلاَّ الْـمَـسْـجِـدَ الْحَرَامَ»[(١)].

**وأما الثالث**: وهو مكة، فقال المفسرون: هو المراد بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[(٢)]، وكان الإسراء من دُور مكة.

**ومن الرابع**: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾[(٣)(٤)]. والمراد بالمسجد الحرام في حديثنا هنا الكعبة نفسها، فهي أول مسجد بُني في الأرض لعبادة الله تعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾[(٥)]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبر تعالى أن أوّل بيت وُضع للناس، أي لعموم الناس، لعِبادتهم ونُسُكهم، يَطُوفون به ويُصلُّون إليه ويَعتكِفُون عنده ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ يعني: الكعبة. قال: وبَكَّة: اسم من أسماء مكّة على المشهور»[(٦)]، فالمراد

(١) أخرجه البخاري برقم ١١٩٠، ومسلم برقم ٣٤٤١.
(٢) الإسراء: ١.
(٣) التوبة: ٢٨.
(٤) مختصر المجموع شرح المهذب (٥٦٨/١).
(٥) آل عمران: ٩٦.
(٦) تفسير ابن كثير (٧٧/٢).

بالأوّلية أنه أوّل بيت وضع لعبادة الله في الأرض. وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن علِيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ قال: كانت البيوت قبله، ولكنه كان أوّل بيت وضع لعبادة الله تعالى(١).

ثم سأل أبو ذر ﷺ النبي ﷺ عن المسجد الثاني الذي بُني في الأرض بعد الكعبة المشرّفة، فأخبره النبي ﷺ أنّه المسجد الأقصى. والمراد بالمسجد الأقصى: المسجد المعروف بالقدس الشريف، وسُمّي بالأقصى أي: الأبعد، لبُعد المسافة بينه وبين الكعبة المشرّفة، إذ إن رحلة الإسراء ابتدأت من المسجد الحرام وانتهت إلى مسجد بيت المقدس، الذي يبعُد مسافة طويلة عن المسجد الحرام، فوُصف بالمسجد الأبعد لذلك والله أعلم(٢). وتسمية مسجد القدس بالمسجد الأقصى هي تسمية أطلقت عليه في الإسلام، وأما قبل الإسلام فلم يكن يُعرف بهذا الاسم، وإنما عُرف باسم مسجد إيلياء. كما ورد في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا يُسَافَرُ**

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٠)، وقد صحّح إسناده إلى علي ﷺ الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/٤٠٨).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (٦/٤٠٨).

**إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ»**[(١)]. أو مسجد داود، كما ورد في قول عمر ﷺ لبطريرك القدس، لما تسلم منه مفتاح المدينة، قال له: «دلّني على مسجد داود...»[(٢)].

وإيلياء اسم أُطلق على مدينة القدس قبل الإسلام، وأوّل من أطلقه عليها هو الإمبراطور الروماني هادريان عام ١٣٥م. فسمّاها إيلياء نسبة إلى اسمه الأول، إذ كان اسمه (ايليوس هدريان)[(٣)]. وقد وردت باسم ايلياء في العُهدة العُمَريّة[(٤)]. وأما في الإسلام فقد أُطلق عليها عدّة أسماء، وهي: بيت المقدس، والقدس، والأرض المقدّسة، والأرض المباركة، وهي تسميات ثابتة في الكتاب والسنة[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٣٤٥٢.
(٢) كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (٢٥٥/١) لمجير الدين الحنبلي العليمي.
(٣) قبل الكارثة نذير ونفير (ص٧٠) لعبدالعزيز بن مصطفى كامل.
(٤) ورد في العهدة العمرية التي كتبها عمر ﷺ لأهل القدس، كما وردت في تاريخ الرسل والملوك (٣٠٨/٢) للطبري: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان...».
(٥) قبل الكارثة (ص٧١).

ثم أردف أبو ذر ﷺ بسؤال ثالث، فسأل النبي ﷺ عن الفترة الزمنيّة التي فَصَلت بين بناء المسجدَيْن، فأخبره النبي ﷺ أنها أربعون سنة.

ثم عقّب النبي ﷺ بعد ذلك بفائدة، وهي: أن بقاع الأرض كلها تصلح أن تُتخذ مكاناً للصلاة ولو لم يكن ثمّة مسجد مَبْني. وهذا التعقيب إنّما وَرَد جواباً عن سؤال رابع طرحه أبو ذر ﷺ على النبي ﷺ، كما بيّنته رواية أخرى لهذا الحديث.

فروى أحمد عن أبي ذر ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «**ثُمَّ الْمَسْجِدُ الأَقْصَى**». قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً**». قُلْتُ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «**ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكْتَ الصَّلَاةَ فَصَلِّ فَكُلُّهَا مَسْجِدٌ**»[1]. فبعد أن جاوَبَ النبي ﷺ أبا ذر ﷺ عن سؤاله الثالث، حول الفترة الزمنيّة الفاصلة بين بناء المسجدَيْن، عاد أبو ذر ﷺ ليسأله عن المسجد الثالث الذي وضع في الأرض بعد الكعبة المشرّفة والمسجد الأقصى. فأجابه النبي ﷺ بقوله: «**ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكْتَ**

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم ٢١٩٤٠.

**الصَّلَاةَ فَصَلِّ فَكُلُّهَا مَسْجِدٌ**». وكأنّ النبي ﷺ قطع على أبي ذر رضي الله عنه استرساله في هذه الأسئلة، لأن معرفة الترتيب الزمني للمساجد المبنيّة في الأرض لا تنبني عليها فائدة عظيمة، خاصّة، إذا عَرَف السائل ما أنعَمَ الله تعالى به على هذه الأمّة من جعل الأرض كلها لها مسجداً، فكل بقاع الأرض تصلح أن تُتّخذ مكاناً للصلاة ولو لم يكن ثمّة مسجد مبنيّ[١]. وهذا ممّا اختُصّت به هذه الأمة من دون سائر الأمم. روى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عن النَّبِي ﷺ أنه قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوراً، فَأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[٢].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) يُخصّ من هذا العموم المواضع التي ورد النهي عن الصلاة فيها كالمقبرة والحمّام.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٣٣٥، ومسلم ١١٩١.

# من بنى الكعبة المشرّفة؟

اختلف العلماء في أوّل من بنى الكعبة المشرّفة.

فقيل: أوّل من بناها الملائكة، وقيل: أوّل من بناها آدم عليه السلام، وقيل: أوّل من بناها إبراهيم عليه السلام، وقيل: غير ذلك[١]. والراجح أنّ أوّل من بناها هو إبراهيم الخليل عليه السلام.

قال ابن كثير رحمه الله[٢]: ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بنى البيت مبتدِئاً، وأوّل من أسّسه، وكانت بقعته معظّمة قبل ذلك، معتنىً بها، مشرّفة في سائر الأعصار والأوقات. قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ

(١) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٠٨/٦)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (٣٨٩/١٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤٢٣/١).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٢٧١/١).

وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1]. وقال: أَيْ أوّل بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى: البيت الذي ببكّة، قيل: مكّة، وقيل: محل الكعبة. ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ أي: على أنه بناء الخليل والد الأنبياء من بعده، وإمام الحنفاء من ولده، الذين يقتدون به ويتمسّكون بسنته. ولهذا قال (مقام إبراهيم) أي: الحجر الذي كان يقف عليه قائماً لمّا ارتفع البناء عن قامته، فوضع له ولدُه هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لمّا تعالى البناءُ وعظم الفناء. وقد كان هذا الحجر مُلصقاً بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخّره عن البيت قليلاً لئلا يشغل المصلون عنده الطائفين بالبيت، واتُّبع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا.

وقد كانت آثار قدمَيْ الخليل باقية في الصخرة إلى أوّل الإسلام. وقد قال أبو طالب في قصيدته اللاميّة المشهورة.

---

(١) آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧.

وثورٍ[١] ومن أرسى ثبيراً[٢] مكانه
وراقٍ ليرقى في حِراء[٣] ونازل
وبالبيت حقّ البيت من بطن مكة
وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه
إذ اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافياً غير ناعل

---

(١) ثَوْر: جَبَلٌ جَنُوبَ مَكَّةَ، عَالٍ أَغْبَرُ يُرَى مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا الْمُرْتَفِعَةِ، وَبَهْ غَارُ ثَوْرٍ الَّذِي اخْتَبَأَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَوَّلَ مُهَاجَرَتِهِ، وَلَهُ طَرِيقٌ الْيَوْمَ يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ أَجْيَادٍ ثُمَّ عَلَى خُمٍّ ثُمَّ بَطْحَاءِ قُرَيْشٍ، وَلَا تَزِيدُ الْمَسَافَةُ عَلَى خَمْسَةِ أَكْيَالٍ، وَقَدْ وَصَلَ عُمْرَانُ مَكَّةَ إِلَى سُفُوحِهِ الشَّمَالِيَّةِ. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية (١/٢٤٧).

(٢) ثبير: جبل عظيم بقرب مِنى. وتقول العرب: أشرق ثبير كيما نُغير: إذا أرادوا استعجال الفجر. آثار البلاد وأخبار العباد (١/٤٦).

(٣) حِراء: جبل مبارك على ثلاثة أميال من مكة، يقصده الناس زائرين. وكان النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل أن يأتيه الوحي قد حُبّب إليه الخلوة، وكان يأتي غاراً فيه، وأتاه جبريل عليه السلام في ذلك الغار. آثار البلاد وأخبار العباد (١/٤٦).

يعني: أن رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قَدْر قدمه حافية لا منتعلة.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، أي: في حال قولهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١]، فهما في غاية الإخلاص والطاعة لله ﷻ، وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور. ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[٢].

والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في وادٍ غير ذي زرع. ودعا لأهلها بالبركة وأن يُرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزروع والثمار، وأن يجعله حرماً محرّماً وآمناً محتّماً، فاستجاب الله ـ وله الحمد ـ له مسألتَه ولبّى دعوته وآتاه طِلبته، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ

(١) البقرة: ١٢٧.
(٢) البقره: ١٢٨.
(٣) العنكبوت: ٦٧.

نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾[١]. وسأل الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم، أي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة، لتتم عليهم النعمتان الدنيوية والدينية، سعادة الأولى والأخرى. وقد استجاب الله له، فبعث فيهم رسولاً وأيّ رسول، ختم به أنبياءه ورسله وأكمل له من الدين ما لم يؤتِ أحداً قبله، وعمّ بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة[٢].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيّاً قبل الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ومن تمسّك في هذا بقوله: (مكان البيت)[٣]، فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه المقدّر في علم الله، المقرّر في قدرته، المعظّم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم إلى زمان إبراهيم. وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبّة، وأن الملائكة قالوا له: قد

---

(١) القصص: ٥٧.

(٢) البداية والنهاية (١/١٩٠).

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

طفنا قبلك بهذا البيت، وأن السفينة طافت به أربعين يوماً، أو نحو ذلك، ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل، وقد قرّرنا أنها لا تُصدّق ولا تُكذّب، فلا يحتجّ بها، فأما إن ردّها الحق فهي مردودة[١].

إذاً تبين لنا أن الذي بنى البيت الحرام هو إبراهيم عليه السلام، وعاونه في بنائه ابنه إسماعيل عليه السلام. وبقي البيت في عُهدة إسماعيل عليه السلام حيث استقر في مكّة، وأما إبراهيم عليه السلام فقد استقرّ في فلسطين بعد هجرته من العراق.

ثم انتقلت عُهدة البيت بعد إسماعيل إلى الجراهمة الذين صاهرهم إسماعيل، وظلّ في أيديهم قرابة ألف عام. ثم آل أمر البيت بعد ذلك إلى قبيلة خُزاعة التي أصبحت صاحبة السيادة والسلطان في مكّة. واستمرّ البيت في أيديهم أكثر من قرنين من الزمان. وكثيراً ما كانت السيول تطغى على مكّة وتدمّر في هذا المسجد، حتى أعاد بناءه قُصي بن كلاب، الذي طرد الخزاعيين من مكة، وجعل للمسجد سقفاً لأوّل مرّة في تاريخه، وبنى حول المسجد بيوتاً تُطلّ عليه. ثم أشرفت قريش على الكعبة بعد قُصي، فأصابها حريق، فأعادوا بناءها

(١) البداية والنهاية (١/١٨٨).

وأقاموا بداخل البناء ستة أعمدة ليعتمد السقف عليها[١].

وقد كانت الكعبة طوال هذه الفترة مبنيّة على قواعد إبراهيم عليه السلام، حتى بنتها قريش فقصّرت بها عن قواعد إبراهيم، من جهة الشمال مما يلي الشام، على ما هي عليه اليوم. وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «**ألم ترَيْ إلى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم**». فقلت: يا رسول الله، ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ فقال: «**لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها الحِجر**»[٢]. وقد بناها ابن الزُبَير رضي الله عنه في أيامه على ما أشار إليه رسول الله ﷺ، حسبما أخبرته خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. فلما قتله الحجّاج في سنة ثلاث وسبعين، كتب إلى عبدالملك بن مروان الخليفة إذ ذاك، فاعتقدوا أن ابن الزبير إنما صنع ذلك من تلقاء نفسه، فأمر بردّها إلى ما كانت عليه. فنقضوا الحائط الشامي وأخرجوا منها الحِجر ثم سدّوا الحائط وردموا الأحجار في جوف الكعبة، فارتفع بابها الشرقي، وسدّوا الغربي بالكلية،

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (١٨/١)، لمحمد الطيّب النجّار (متوفي ١٤١١).

(٢) أخرجه البخاري برقم ١٥٨٣ و١٥٨٦، ومسلم برقم ٣٣٠٦.

كما هو مشاهد إلى اليوم. ثم لما بلغهم أنّ ابن الزُبَير إنما فعل هذا لمّا أخبرته عائشة أم المؤمنين، ندموا على ما فعلوا، وتأسّفوا أن لو كانوا تركوه وما تولّى من ذلك. ثم لمّا كان في زمن المهدي بن المنصور، استشار الإمام مالك بن أنس، في ردّها على الصفة التي بناها ابن الزبير، فقال له: إني أخشى أن يتخذها الملوك لعبة ـ يعني كلما جاء ملِك بناها على الصفة التي يريد ـ فاستقرّ الأمر على ما هي عليه اليوم[1].

(١) انظر البداية والنهاية (١/١٨٧).

# من بنى المسجد الأقصى؟

كذلك اختلف العلماء في أوّل من بنى المسجد الأقصى.

فقيل: أوّل من بناه آدم عليه السلام، وقيل إبراهيم عليه السلام، وقيل: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقيل: سليمان بن داود عليهما السلام.

واستدلّ من قال بأن آدم عليه السلام هو أوّل من بناه بما ذكره ابن هشام في كتاب التيجان: أنّ آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس وأن يبنيَه، فبناه ونسك فيه. وروى ابن أبي حاتم من طريق معمر عن قتادة قال: وضع الله البيت مع آدم لما هبط، ففقد أصوات الملائكة وتسبيحهم. فقال الله له: يا آدم إني قد أهبطت بيتاً يُطاف به كما يطاف حول عرشي فانطلق إليه. فخرج آدم إلى مكة، وكان قد هبط بالهند ومُدّ له في خَطوه، فأتى البيت فطاف به. وقيل إنه لما صلى إلى الكعبة أُمر بالتوجّه إلى بيت المقدس، فاتخذ فيه مسجداً

وصلى فيه ليكون قِبلة لبعض ذرّيته»[١].

واستدلّ من قال بأن أوّل من أسّس المسجد الأقصى هو إبراهيم عليه السلام بعد تأسيسه للمسجد الحرام، بأن بناءه للمسجد الحرام مشهور بنص القرآن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[٣]، وإذا ثبت بالنص أنه بنى الكعبة، فإنّ بناءه للمسجد الأقصى محتمل راجح لقرب العهد بين المسجدَيْن[٤].

واستدلّ من قال بأن الذي أسّس المسجد الأقصى هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، بأنه ورد كذلك عند أهل الكتاب[٥]، ولم يرِد في شرعنا ما يعارضه.

واستدلّ من قال بأنّ أوّل من بناه هو سليمان عليه السلام، بما رواه النسائي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنَّ سُلَيْمَانَ

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/٤٠٩).
(٢) البقرة: ١٢٧.
(٣) الحج: ٢٦.
(٤) المسجد الأقصى... وقفات وعبرات (١/١٣) للشيخ محمد عبدالكريم.
(٥) البداية والنهاية (٢/٣٦٥).

ابْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالاً ثَلَاثَةً، سَأَلَ اللَّهَ ﷻ حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ ﷻ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ ﷻ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ(١).

ويترجّح لدينا بعد استعراض الأدلة المذكورة: أن الذي بنى المسجد الأقصى هو نبيّ الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ودليل ذلك أنه ثبت لدينا أن الذي بنى الكعبة المشرّفة هو إبراهيم عليه السلام، كما ثبت لدينا أن المدّة الزمنيّة الفاصلة بين بناء الكعبة وبناء المسجد الأقصى هي أربعون سنة فقط. فسقط بهاتين المقدّمتين الاحتمال الأول، وهو آدم عليه السلام، لأن آدم عليه السلام جاء قبل إبراهيم عليه السلام بزمن طويل. وأما الآثار الواردة في آدم وبنائه للمسجد الحرام والمسجد الأقصى، فلا تقوى من جهة الإسناد على معارضة ما ذكرنا. كما سقط الاحتمال الأخير، وهو سليمان عليه السلام، لأن سليمان عليه السلام جاء بعد إبراهيم عليه السلام بأكثر من

(١) أخرجه النسائي برقم ٧٠١، وصحّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي برقم ٦٩٣.

ألف سنة، كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]. وأما الحديث الوارد في سليمان وبنائه للمسجد الأقصى، فهو صحيح، ولكن لا يلزمنا ترجيح أحد الحديثين على الآخر ما دام الجمع بينهما ممكناً. والجمع هنا ممكن بين الحديثين، بأن نحمل حديث أبي ذر على تأسيس المسجد الأقصى، وحديث عبدالله بن عمرو على تجديد المسجد الأقصى. فنقول: تأسّس المسجد الأقصى في عصر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، سواء كان هو الذي أسّسه بنفسه أو أسّسه حفيده يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأن المدّة الزمنية بين تأسيس الكعبة على يد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتأسيس المسجد الأقصى قصيرة لا تتجاوز الأربعين سنة. ثم جاء نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأكثر من ألف سنة فقام بتجديده. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثاً، فالمراد من ذلك والله أعلم أنه جدّد بناءه، كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة، ولم يقل أحد أن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان في (تقاسيمه وأنواعه)، وهذا القول لم يوافق عليه ولا سُبق إليه[٢].

---

(١) فتح الباري (٦/٤٠٨).

(٢) البداية والنهاية (١/١٨٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى كَانَ مِنْ عَهْدِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنَاهُ بِنَاءً عَظِيماً»(١).

فلم يبق بعد سقوط الاحتمال الأول والأخير إلا الاحتمال الثاني وهو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو الاحتمال الثالث وهو حفيده يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. أما الاحتمال الثاني فلم يأتِ عليه دليل ولا قرينة فيسقط أيضاً. وأما الاحتمال الثالث فلم يرِد فيه دليل صريح، ولكن وردت قرينة تدل عليه، وهي أنه ورد عند أهل الكتاب: (أن الذي بنى المسجد الأقصى هو يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ولم يرِد في شرعنا ما يعارضه، بل ورد ما يؤيده ويشهد له، وهو: (أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ولد في حياة جدّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهذا يتناسب مع الفترة الزمنية القصيرة التي كانت بين بناء المسجدَيْن. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعند أهل الكتاب أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي أسّس المسجد الأقصى، وهو مسجد إيليا بيت المقدس شرّفه الله، وهذا متّجه، ويشهد له ما ذكرناه من الحديث (أي: حديث أبي ذر)، فعلى هذا يكون بناء يعقوب، وهو إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد بناء الخليل وابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥١/٢٧).

(٢) البداية والنهاية (١٨٧/١).

ورجّح هذا القول أيضاً ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «...فإن سليمان إنما كان له مِن المسجَد الأقصى تجديدُه، لا تأسيسُه، والذي أسّسه هو يعقوب بن إسحاق ـ صلى الله عليهما وآلهما وسلم ـ بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار ـ أي: بمقدار أربعين سنة ـ»[1][2].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٥٠).

(٢) هنا موضع الفائدة الأولى، وهي: ميزة المساجد الثلاثة.

# المراحل التي مرّ بها تجديد المسجد الأقصى

حتى تتضح المراحل التي مرّ بها تجديد المسجد الأقصى يُستحسن إلقاء نظرة سريعة على تاريخ بني إسرائيل.

# تاريخ بني إسرائيل

قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ٢٥٠٠ سنة، هاجرت قبائل عربيّة من شبه الجزيرة العربيّة إلى الشمال، واستقرّت في الضفة الغربيّة لنهر الأردن مُنسابة إلى البحر المتوسط. وأشهر هذه القبائل: قبائل اليبوسيين من الكنعانيين، وسمّيت هذه الأرض بأرض كنعان نسبة إليهم. وقاموا بإنشاء بلدة وأطلقوا عليها اسم «أورسالم»، ولعله اسم إلٰه عندهم أو تعني مدينة السلام[١]. وقد تحرّفت هذه التسمية الكنعانية والآرامية في اللغة العبرية إلى «أور شليم»[٢].

بعد ذلك هاجرت قبائل غير عربيّة من جزيرة كريت في البحر المتوسط تسمى قبائل (فلستين)، ونزلت

(١) بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات، للدكتور إبراهيم بن ناصر الناصر، وقد أوردته مجلة البيان (٣٢/١٧٥).
(٢) قبل أن يُهدم الأقصى (ص٤٤)، لعبدالعزيز مصطفى.

في يافا وغزة. وتم الاختلاط بين الكنعانيين والمهاجرين الجُدد، وشكّلوا خليطاً يغلب عليه الدم العربي، وعاشوا في تلك المنطقة التي سُمّيت فيما بعد فلسطين نسبة إلى قبائل فِلستين(١).

وفي تلك العصور وُلد وعاش إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في العراق (بابل)، ثم هجَرها بعد اعتزاله لقومه إلى حرّان، ثم عبر نهر الفرات و بادية الشام إلى أرض كنعان (فلسطين)، ومعه زوجته سارة (ابنة عمه)، وابن أخيه لوط، وذلك في حدود سنة ٢٠٠٠ ق.م. واستقروا هناك. بقي إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ مستقراً في أرض كنعان (فلسطين)، حتى اضطر للخروج منها مع زوجته إلى مصر بسبب القحط. ولكنه لم يلبث أن غادر مصر ورجع إلى فلسطين بعد أن نجّى الله تعالى زوجته سارة من محاولة اعتداء ملك مصر عليها. وكان الملك قد أهدى لسارة جارية اسمها هاجَر، فأهدتها بدَوْرها إلى زوجها إبراهيم عليه السلام، طمعاً في أن يُنجب منها الولد بعد أن حُرمت هي منه. وقد ورد في السنّة حديث صحيح تعرّض لهذه القصة، وهو

(١) قبل الكارثة نذير ونفير (ص ٧٩)، لعبدالعزيز بن مصطفى كامل.

ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عز وجل: قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[١]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[٢]، وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلاً مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ عَنْهَا. فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي. فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ، لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلَا تُكَذِّبِينِي. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ، فَأُخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ. فَدَعَتِ اللَّهَ، فَأُطْلِقَ. ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ. فَدَعَتْ، فَأُطْلِقَ. فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ. فَأَتَتْهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَا؟ قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ»[٣].

---

(١) الصافات: ٨٩.

(٢) الأنبياء: ٦٣.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٣٣٥٨.

وَلَدت هاجر لإبراهيم عليه السلام ابناً فسمّاه إسماعيل. وعندها دبّت الغِيرة عند سارة من هاجر، فألحّت على إبراهيم عليه السلام أن يُبعد هاجر وولدها عنها ففعل. قام إبراهيم عليه السلام بنقل هاجر وابنها إسماعيل إلى مكّة في جزيرة العرب، فتركهما هنالك ورجع إلى فلسطين ليستقرّ بها، غير أنّه كان يتردّد على مكّة من حين لآخر للاطمئنان على إسماعيل وأمّه. وقد ورد في السنّة حديث طويل يبيّن تفاصيل سَفَر إبراهيم عليه السلام بهاجر وابنها إسماعيل إلى مكة. وهو ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ. ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ[1] عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ

(١) عند البيت أي: عند الموضع الذي ستُبنى عليه الكعبة لاحقاً، إذ لم تكن الكعبة وقتها قد بُنيت بعد.

مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا...»[١].

ثم منّ الله تعالى على سارة بولد من إبراهيم عليه السلام، فسمّاه إسحاق. وكانت ولادة إسحاق معجزة لإبراهيم وسارة، إذ كان إبراهيم عليه السلام قد جاوز المائة سنة، وأما سارة فقد ناهزت التسعين إلى جانب كونها عقيماً لا تلد[٢]. وقد ذكر الله تعالى بشارة الملائكة لسارة رضي الله عنها بالولد في القرآن الكريم. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾[٤].

وبعد أن رُزق إبراهيم عليه السلام بإسحاق، أمره الله

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٣٦٤.
(٢) البداية والنهاية (١/٢٢٢).
(٣) الحجر: ٥١ ـ ٥٦.
(٤) الذاريات: ٢٨ ـ ٣٠.

تعالى أن يتوجّه إلى مكة المكرّمة لبناء الكعبة المشرّفة، ويعاونه في بنائها ابنُه إسماعيل، الذي كان قد شبّ وقتها وصار قادراً على المساعدة، إذ يكبُر إسماعيلُ أخاه إسحاق بأربعة عشر عاماً[١].

والدليل على أن بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة المشرّفة إنما كان بعد ولادة إسحاق: أن إبراهيم لما فرغ من بناء الكعبة دعا الله تعالى بدعاءٍ ورد فيه ذكر إسحاق. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: وقد كان بناؤهما ذلك بعد وجود إسحاق لأن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما دعا قال في دعائه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ

(١) البداية والنهاية (١/٢٢٢).

(٢) البداية والنهاية (١/١٨٧).

وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[1].

ظلّ إبراهيم عليه السلام مقيماً في فلسطين بعد بناء الكعبة، وأصبحت هذه البقعة من أرض الشام مهجَراً له بعد أن نشأت له فيها ذريّة طيّبة. وكرّم الله تعالى إبراهيم بأن جعل في ذرّيّته النبوّة والكتاب، فكل نبي بُعث من بعده كان من ذرّيّته، وكل كتاب أنزله الله على نبي من الأنبياء بعده فإنما نزل على أحد ذرّيّته، فهو والد الأنبياء الثاني بعد نوح عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[2].

كبر إسحاق عليه السلام وتزوّج ووُلد له ولدان هما: يعقوب وعيصو. وكانت النبوّة في نسل يعقوب عليه السلام، ولقبه إسرائيل، وهو الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل.

ولما كبر يعقوب عليه السلام أقام في أرض حرّان بعد أن تزوج من ابنتي خاله، وكان ذلك سائغاً في ملّتهم، ثم حرّم بعد هذا في شريعة التوراة[3]. وأهدت كل واحدة من زوجتَيْ يعقوب عليه السلام له جارية، فصار عنده

---

(١) إبراهيم: ٣٥ ـ ٤١.

(٢) الحديد : ٢٦.

(٣) البداية والنهاية (١/٢٢٤).

أربع نساء، فأنجب منهن اثني عشر ولداً، هم أسباط بني إسرائيل[١].

(١) الأَسْباط جمع سِبْط، والسِبْط: ولَدُ الابْنِ والابْنَةِ، وقِيل: ولد الابنة فقط، ومنه الحَسَنُ والحسينُ سِبْطا رسول الله ﷺ. قال صاحب تاج العروس (٤٨٥٦/١): وهذا القول الأخيرُ هو المَشْهورُ عندَ العامَّة، وبه فَرَّقوا بَيْنَها وبين الأحْفادِ، ولكنَّ كلامَ الأئمَّةِ صَريحٌ في أنَّه يَشْمَلُ وَلَدَ الابنِ والابْنَة كما صَرَّحَ به ابن سِيدَه. وقالَ الأَزْهَرِيّ: الأَسْباطُ في بَني إسحاقَ بمَنْزِلَة القبائِلِ في بَني إسماعيلَ صَلَوات الله عليهما.

# اختيار موقع المسجد الأقصى

ورد عند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام كان في رحلة له، فحدثت له قصة مميّزة، كانت هي السبب في اختياره البقعة التي بَنى عليها لاحقاً المسجد الأقصى.

ذكر أهل الكتاب: أن يعقوب عليه السلام خرج في رحلة له، وأدركه المساء في موضع ما، فاستند إلى صخرة كانت في الموضع ونام. رأى في نومه ذلك سُلّماً منصوباً من السماء إلى الأرض، وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون. فلما هبّ من نومه فَرِح بما رأى، ونذر لله لئن رجع إلى أهله من رحلته سالماً ليبنينّ في هذا الموضع معبداً لله عز وجل، ثم عمَد إلى تلك الصخرة فجعل عليها دهاناً يتعرّفها به. وفّى يعقوب عليه السلام بنذره، فما إن رجع من رحلته تلك حتى شرع ببناء معبد لله في موضع الصخرة التي علّمها بالدهان، وسُمي ذلك الموضع: بيت إيل، أي: بيت الله، وهو موضع المسجد الأقصى اليوم[1].

(١) انظر البداية والنهاية (٢٢٣/١).

# انتقال بني إسرائيل من فلسطين إلى مصر

كان يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر. وقصة يوسف عليه السلام وما جرى بينه وبين إخوته مشهورة، وكانت سبباً في انتقال يوسف عليه السلام إلى مصر، ثم لحق به أبوه وأمه وسائر إخوته بعد أحداث طويلة تعرّض لذكرها القرآن الكريم في سورة يوسف.

دخل بنو إسرائيل مصر حوالي سنة ١٦٣٠ ق.م. وكانوا سبعين رجلاً، وظلوا فيها أربعمائة وثلاثين سنة، حسب سِفر الخروج[١].

وتحت ظلّ يوسف عليه السلام، حيث صار حاكماً في مصر، عاش يعقوب عليه السلام وزوجته وأولاده في أرض مصر معزّزين مكرّمين. ولكن بعد وفاة يوسف عليه السلام

(١) بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. عن مجلة البيان (٣٢/١٧٥).

طرأت أحداث كثيرة غيّرت أحوال بني إسرائيل في مصر من العزّة والكرامة إلى الذلّة والمهانة، حتى صاروا مستَعبَدين في زمن بعض فراعنة مصر. قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[1].

أرسل الله تبارك وتعالى عندها موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وقومه، من أجل تحرير بني إسرائيل وإطلاق سراحهم، إلا أنّ فرعون وقومه رفضوا إطلاق سراحهم. فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل من مصر ليلاً دون إذن فرعون، فلحقهم فرعون بجنوده، حتى أدركهم صباحاً عند ساحل البحر، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، فانفلق الماء عن قاع البحر، فمشى موسى وقومه على أرض يابسة، وتبعهم فرعون وجنوده عليها، فما إن خرج موسى وقومه من أرض البحر حتى أطبق الماء على فرعون وجنوده فلم ينج منهم أحد. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾[2].

---

(١) البقرة: ٤٩.

(٢) طه: ٧٧ ـ ٧٩.

وبعد أن نجّى الله تعالى بني إسرائيل من الغرق، أمر الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام أن يذهب بقومه إلى الأرض المقدّسة، وهي فلسطين، والتي كان الوثنيّون من الكنعانيين والقبائل المصاهرة لهم قد استوطنوها وتحكّموا فيها، وكانوا عمالقة في أجسامهم. لما سمع بنو إسرائيل بضخامة أجسامهم نكلوا عن الجهاد، ورفضوا دخول الأرض المقدّسة، فعاقبهم الله تعالى بالبقاء في صحراء سيناء أربعين سنة يسيرون فيها ولا يهتدون للخروج منها حتى مات ذلك الجيل المتخاذل العاصي. وقد قصّ الله تعالى في القرآن الكريم ما جرى بين موسى وقومه في ذلك. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ

عَلَيۡهِمۡۚ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[1].

ظلّ بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة، وفي هذه الفترة توفّي هارون عليه السلام ثم توفّي بعده موسى عليه السلام بسنتين[2]، ودُفنا هناك. وكان موسى عليه السلام قد وصّى قبل موته أن يُدفن بجانب الأرض المقدّسة.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ**»[3].

وفي فترة التيه حصلت أمور عجيبة من المعجزات لموسى عليه السلام. فالتيه كان في صحراء سيناء، وهي أرض مُجدبة لا طعام فيها ولا شراب، فمنّ الله تعالى على بني إسرائيل بطعام وشراب لا كلفة فيهما ولا مشقّة.

قال السُدّي: لما دخل بنو إسرائيل التيه، قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بما هاهنا، أين الطعام؟

---

(١) المائدة: ٢٠ ـ ٢٦.

(٢) البداية والنهاية (٣٧٦/١).

(٣) أخرجه البخاري برقم ٣٤٠٧، ومسلم برقم ٦٢٩٧.

فأنزل الله عليهم المنّ[١]، فكان ينزل على شجرة الزنجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السُمّاني أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كان سميناً ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه. فقالوا: هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر الله تعالى موسى أن يضرب بعصاه الحجر، فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، فشرب كل سِبط من عين. فقالوا: هذا الشراب فأين الظل؟ فظلّل الله عليهم الغمام. قالوا: هذا الظل فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا ينخرق لهم ثوب. فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[٢]. وقوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾[٣][٤].

أي: واذكروا يا بني إسرائيل من بين نعمي عليكم: نعمة إظلالكم بالغمام وأنتم في التيه ليقيكم حرّ الشمس، وحرارة الجو، ولولا منحي إياكم الطعام اللذيذ المشتهى

---

(١) وهو نوع من الحلوى كالعسل تنزل على أوراق الأشجار.

(٢) البقرة: ٥٧.

(٣) البقرة: ٦٠.

(٤) تفسير ابن كثير (١/٢٧٢).

بدون تعب منكم في تحصيله لهلكتم. وقلنا لكم كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الذي رزقكم هذه النعم، ولكنكم كفرتم بها، فظلمتم أنفسكم دون أن ينالنا من ذلك شيء، لأن الخلق جميعاً لن يبلغوا ضري فيضروني ولن يبلغوا نفعي فينفعوني[١].

وفي التيه عُملت قبّة العهد، ويُقال لها قبّة الزمان أو خيمة الاجتماع، وكانت لهم كالكعبة، يصلون فيها وإليها ويتقرّبون عندها[٢]. وكانوا يضعون في هذه الخيمة تابوت العهد أو تابوت الشهادة أو تابوت الميثاق[٣]، وسيأتي الحديث عنه قريباً بإذن الله تعالى.

(١) الوسيط لسيد طنطاوي (١/٩٥).
(٢) البداية والنهاية (١/٢٨٧).
(٣) البداية والنهاية (٢/٦).

# بنو إسرائيل
# في عهد يوشع بن نون عليه السلام

بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام تولى أمر بني إسرائيل نبي آخر، وهو يوشع بن نون عليه السلام، وهو فتى موسى الذي كان برفقته أثناء رحلته للقاء الخضر عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾[1]، وورد في البخاري من رواية أبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اسم فتى موسى وهو يوشع بن نون[2]، وهو متفق على نبوّته عند أهل الكتاب.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) الكهف: ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٧٢٧.

# فتح بيت المقدس

سار يوشع بن نون عليه السلام ببني إسرائيل، بعد انقضاء مدّة التيه، قاصداً بيت المقدس، فحاصرها وكاد أن يفتحها في آخر ساعة من يوم الجمعة، إلا أن الشمس تضيّفت للغروب، وخشي إن دخلت عليهم ليلة السبت، وتوقّف عن القتال بسبب حرمة العمل عندهم ليلة السبت ويومه، أن يعود العمالقة لتحصين المدينة وتنظيم صفوفهم، فدعا الله تعالى أن يحبس الشمس عن الغروب ساعة من الزمن حتى يستكمل فتح المدينة. استجاب الله تعالى دعوة نبيّه يوشع عليه السلام وحبس له الشمس ساعة من النهار حتى استكمل الفتح.

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهْوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ وَهْوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا. فَغَزَا فَدَنَا**

**مِنَ الْقَرْيَةِ صَلاَةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا. فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. . .»** الحديث[(١)]. فالنبي الوارد ذكره في هذا الحديث هو يوشع بن نون عليه السلام، والقرية التي افتتحها هي بيت المقدس، ودليله ما رواه أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلاَّ لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ»**[(٢)(٣)].

ولما دخل يوشع بن نون عليه السلام بيت المقدس، نصب قبّة الزمان على الصخرة فكانوا يصلون إليها. فلما بادت القبّة صلوا إلى محلّتها وهي الصخرة، فلهذا كانت قِبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ. وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وكان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٣١٢٤، ومسلم برقم ٤٦٥٣.

(٢) أخرجه أحمد برقم ٨٥٣٨، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٢١/٦)، والألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦١٢، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٧٦/١): هو على شرط البخاري.

(٣) هنا موضع الفائدة الثانية، وهي: أول وآخر جهاد في الأرض إنما يكون على أرض فلسطين.

إليها ستة عشر ـ وقيل سبعة عشر ـ شهراً، ثم حُوّلت القِبلة إلى الكعبة، وهي قِبلة إبراهيم عليه السلام، في شعبان سنة ثنتين من الهجرة[1].

والظاهر أن يوشع بن نون عليه السلام لما دخل بيت المقدس لم يجد أثراً للمسجد الأقصى الذي بناه يعقوب عليه السلام، في ساحة الصخرة، بل وجد الصخرة فقط لذلك نصب عليها قبّة الزمان. ولا يُستغرب اندثار بنيان يعقوب عليه السلام بسبب طول الفترة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر. ولا أدري هل أعاد بنو إسرائيل بناء المسجد الأقصى في عهد يوشع بن نون عليه السلام، أم اكتفوا بنصب القبّة في ساحة المسجد حتى جاء القضاة بعد ذلك فأعادوا بناءه من جديد.

وبعد افتتاح بيت المقدس، بدأ يوشع عليه السلام يكمل فتوحاته ويقسم الأراضي التي غنمها على أسباط بني إسرائيل الاثني عشر. وبعد وفاة يوشع عليه السلام تولى قيادة بني إسرائيل قضاتهم. ومن هنا يُقَسِّم المؤرخون المراحل التاريخية التي مرت على بني إسرائيل منذ دخولهم الأرض المقدّسة (فلسطين) إلى العهود الآتية:

---

(١) البداية والنهاية (١/٣٦٠).

# أولاً: عهد القضاة

بعد موت يوشع بن نون عليه السلام تولى الحكم في بني إسرائيل قضاة الشرع عندهم، وعُرف هذا العهد في التاريخ الإسرائيلي بعهد القضاة. ومدة هذا العهد ٣٥٠ سنة على حساب سِفر القضاة، ومن المحققين من يقول بأن هذا العصر لم تزِد مدّته عن ١٠٠ عام[١].

ومن سِمات هذا العصر كثرة النزاعات والحروب الداخلية والخارجية بين الأسباط الاثني عشر وغيرهم، وتكرّر حوادث الارتداد والكفر منهم، وانتشار الزنا بينهم، كما انتشر الفساد في القضاة، فأخذوا الرشوة وحكموا بين الناس بالظلم والهوى، فبعث الله إليهم رسله يعظونهم ويذكّرونهم، فما ازدادوا إلا غيّاً حتى

(١) انظر ما قاله د. محمود عبدالرحمٰن قدح، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في مقال له بعنوان «موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة»، والذي نشرته مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٢/٣٩).

قتلوا أنبياء الله عزّ وجلّ. عندها سلّط الله تعالى عليهم العمالقة من جديد، بعد أن كانوا قد انهزموا وانحازوا إلى غزّة وعسقلان، فاجتاحوا بلادهم وقتلوا رجالهم وخرّبوا مدنهم، واحتلوا بيت المقدس وخرّبوا مسجدها وهدموا قبّة الزمان، كما صادروا منهم تابوت الشهادة الذي كان يتبرّك به بنو إسرائيل ليُنصروا في حروبهم، ثم سَبَوا منهم خلقاً عظيماً، وشرّدوا من بقي منهم إلى البلاد المجاورة.

قال ابن جرير وغيره: ثم مَرَج أمر بني إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الأنبياء، وسلّط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبّارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم، وسلّط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضاً. وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبّة الزمان، فكانوا يُنصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون. فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزّة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من أيديهم، فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كَمَداً[1].

(١) البداية والنهاية (٥/٢).

# ثانياً: عهد الملوك

## ١ ـ عهد طالوت:

بقي بنو إسرائيل في الشتات مدة طويلة تقدّر بمائة عام أو أكثر، حتى بعث الله فيهم نبيّاً من أنبيائه، يقال له شموئيل كما ورد عند أهل الكتاب، فطلبوا منه أن ينصّب عليهم ملِكاً ليقاتلوا معه أعداءهم ويستردّوا منهم ديارهم وأبناءهم. فأجاب نبيّهم طلبهم ونصّب عليهم ملِكاً يقال له طالوت، وبه بدأ عصر الملوك في تاريخ بني إسرائيل.

وقد ذكر القرآن الكريم ما جرى بين بني إسرائيل وبين نبيّهم في قصة الملِك الذي نصّبه عليهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية[1]. أي: ألم ينتهِ إلى علمك قول أشراف بني

(١) البقرة: ٢٤٦.

إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، إذ قالوا لنبيّ لهم: أقِم لنا أميراً لكي نقاتل معه في سبيل الله. والمراد بالنبيّ هنا على الراجح شمويل بن حنّة، وقد ورد بصيغة التنكير إشارة إلى أن محل العِبرة ليس هو شخص النبي، وإنما المقصود معرفة حال أولئك القوم وما جرى لهم مع نبيّهم من أحداث من شأنها أن تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ. وهذه طريقة القرآن في سرد القصص: لا يهتم بالأشخاص والأزمان إلا بالقدر الذي يستدعيه المقام، أما الاهتمام الأكبر فيجعله لما اشتملت عليه القصة من وجوه العِظات والعِبر. وكان السبب في طلبهم هذا من نبيّهم: أن العمالقة أتباع جالوت كانوا قد أخرجوهم من ديارهم، وأنزلوا بهم هزائم شديدة، فطلبوا من نبيّهم ذلك لكي يستردّوا مجدهم الضائع، وعزّهم المسلوب، على يد هذا القائد المختار من جهة نبيّهم.

قال وهب بن منبّه وغيره: كان بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدّة من الزمان، ثم أحدثوا الأحداث وعبد بعضهم الأصنام. ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيمهم على منهج التوراة إلى أن فعلوا ما فعلوا، فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا خلقاً كثيراً وأخذوا منهم بلادًا كثيرة.

ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه، وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قبّة الزمان، وكان ذلك موروثاً لخلفهم عن سلفهم إلى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام. فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبَه منهم بعض الملوك في بعض الحروب، وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبقَ من يحفظها فيهم إلا القليل. وانقطعت النبوّة من أسباطهم، ولم يبق من سِبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من بعلها وقد قُتل، فأخذوها فحبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلامًا يكون نبيّاً لهم. ولم تزل تلك المرأة تدعو الله ﷻ أن يرزقها غلاماً فسمع الله لها ووهبها غلاماً، فسمّته شمويل، أي: سمع الله. فشبّ ذلك الغلام ونشأ فيهم وأنبته الله نباتًا حسنًا، فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه وتوحيده. فدعا بني إسرائيل، فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكًا يقاتلون معه أعداءهم وكان المُلْكُ أيضاً قد باد فيهم[1].

ويبدو أن نبيّهم كان يتوجّس منهم خيفة لأنه أعرف بطبيعتهم، فنراه يقول لهم كما ذكر القرآن عنه: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾،

(١) تفسير ابن كثير (١/٦٦٥).

فالاستفهام للتقرير والتحذير، أي: إني أتوقّع عدم قتالكم إذا فرض عليكم القتال، فراجِعوا أنفسكم وقوّتكم قبل أن تطلبوا هذا الطلب، لأنه إذا فرض عليكم ثم نكصتم على أعقابكم فإن عاقبتكم ستكون شراً لا شك في ذلك. ثم بيّن القرآن ردّهم على نبيّهم فقال: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾. أي: قال الملأ من بني إسرائيل على سبيل الإنكار والتعجّب مما قاله نبيّهم: وأيّ صارف يصرفنا عن القتال وحالنا كما ترى! إننا قد أخرجنا من ديارنا، وحيل بيننا وبين أبنائنا وفلذات قلوبنا، فكيف لا نقاتل مع أن الدواعي موجودة، والبواعث متوفرة، والأسباب مهيّئة! وهم في إجابتهم هذه يستنكرون ما توقّعه منهم نبيّهم، ويجزمون بأن الطريق الوحيد لعزّتهم إنما هو القتال، وأن هذا الأمر لا مراجعة فيه ولا جدال. وهكذا شأن الجبناء والمغرورين في كل زمان ومكان، يرحّبون بالمعارك قبل قدومها، فإذا ما جدّ الجِدّ كذّبت أعمالُهم أقوالَهم، وأعطوا أدبارهم لأعدائهم.

ثم ذكر القرآن أن نبيّهم كان صادقاً فيما توقّعه منهم، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ﴾. أي: فحين فرض عليهم القتال بعد أن ألحّوا في طلبه، أعرضوا عنه ونفروا منه إلا عدداً قليلاً

منهم فإنه ثبت على الحق ووفّى بعهده. ثم ختم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الله تعالى عليم بالظالمين الذين يظلمون أنفسهم وأمّتهم بترك الجهاد، وبترك ما أمرهم الله به بعد أن عاهدوه على عدم الترك.

ثم بيّن القرآن ما أخبرهم به نبيّهم ليحملهم على الطاعة والامتثال، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾. أي: وقال لهم نبيّهم: إن الله تعالى، وهو العليم الخبير بأحوال عباده، قد بعث لكم ومن أجل مصلحتكم طالوت ليكون ملكاً عليكم، وقائداً لكم في قتالكم لأعدائكم، فأطيعوه واتّبعوا ما يأمركم به. ولقد كان الذي يقتضيه العقل أن يطيعوا أمر نبيّهم، ولكنهم لجّوا في جدالهم وطغيانهم، وقالوا لنبيّهم معترضين على من اختاره الله قائداً لهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾. أي: قالوا لنبيّهم منكرين ومتعجّبين من اختيار طالوت ملكاً عليهم: كيف يكون له المُلك علينا، والحال أننا أحقّ بالملك منه، لأننا أشرف منه نسباً، إذ منّا من هو نسل الملوك، أما طالوت فليس من نسلهم. وفضلاً عن ذلك فهو لا يملك من المال ما يملكه بعضنا، فكيف يكون هذا الشخص ملكاً علينا! قال بعضهم: وسبب هذا الاستبعاد أن النبّوة كانت

مخصوصة بسِبط معيّن من أسباط بني إسرائيل، وهو سِبط لاوي بن يعقوب، وأن المُلك كان مخصوصاً بسِبط يهوذا، ولم يكن طالوت من أحد هذين السِبطين بل من ولد بنيامين.

ثم بيّن القرآن ما ردّ به نبيّهم عليهم، فقال: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. أي: قال لهم نبيّهم مدلّلا على أحقيّة طالوت بالقيادة: إن الله تعالى اختاره وفضّله عليكم، واختياره يجب أن يقابل بالإذعان والتسليم، هذا أولاً.

وثانياً: منحه الله تعالى سعة في العلم والمعرفة والعقل والإحكام في التفكير المستقيم لم يمنحها لكم. وثالثاً: أعطاه الله جسماً قوياً ضخماً مَهيباً. وهذه الصفات ما وجدت في شخص إلا وكان أهلاً للقيادة والرِيادة. وفضلاً عن كل ذلك فمالك الملك هو الذي اختاره، فكيف تعترضون يا من تدّعون أنكم تريدون القتال في سبيل الله! لذا أضاف سبحانه الملك إليه فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. أي: هذا الملك ملكه، لذلك يؤتيه من يشاء من عباده لحكمة يعلمها، فلا يجوز لأحد أن يعترض على اختياره، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمن

يستحق الملك ممّن لا يستحقّه. ثم ذكر القرآن أن نبيّهم لم يكتف بهذه الدلائل الدالّة على صلاحية طالوت للقيادة، وإنما ساق لهم بعد ذلك من العلامات التي تشهد بحقيّته بهذا المنصب ما يثبّت قلوبهم، ويُزيل شكّهم ويشرح نفوسهم. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ والمعنى: وقال لهم نبيّهم ليقنعهم بأن طالوت جدير بالملك: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾، أي: علامة ملكه، وأنه من الله تعالى: أن يُرَدَّ عليكم التابوت الذي سُلب منكم. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: في إتيانه سكون لنفوسكم وطمأنينة لها، أو مودَع فيه ما تسكنون إليه، وهو التوراة. ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾، أي: وفيه آثار تركها موسى وهارون تعتزّون بها، مثل عصا موسى وثيابه وشيء من التوراة، وترَوْن فيها صلة بين ماضيكم وحاضركم. ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، قال ابن كثير: «قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون»[1].

(١) تفسير ابن كثير (٦٦٧/١).

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. أي: إن في ذلك الذي أتاكم به طالوت لآية عظيمة وعلامة ظاهرة لكم تدلّ على أحقيّة طالوت بالملك والقيادة، إن كنتم مؤمنين بآيات الله وبالحق الذي جاء به أنبياؤه.

ثم بيّن سبحانه ما دار بين طالوت وجنوده، فقال: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾. أي: فلما انفصل بهم عن المكان الذي كانوا يقيمون فيه، وتوجهوا معه لقتال جالوت وجنوده، قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾، أي: مختبركم وممتحنكم بنهر، وكان طالوت قد سار بهم في أرض قفرة فأصابهم عطش شديد. وفي هذا الابتلاء اختبار لعزيمتهم، وامتحان لصبرهم على المتاعب، حتى يتميّز من يصبر على الحرب ممن لا يصبر. ومن شأن القوّاد الأقوياء العقلاء أنهم يختبرون جنودهم قبل اقتحام المعارك حتى يكونوا على بيّنة من أمرهم.

ثم بيّن لهم موضع الاختبار، فقال: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. أي: قال لهم طالوت: من شرب من هذا النهر فليس من شيعتي، فعليه أن يتركني ولا يصاحبني في خوض هذه المعركة، لأنه ثبت ضعفه وخوَره. ومن

لم يذُقه أصلاً فإنه من شيعتي وحزبي الذي سيكون معي في هذه المعركة الخطيرة، ثم أباح لهم أن يغترفوا من النهر باليد غُرفة واحدة يخفّفون بها من عطشهم، فإنه لا يخرج بذلك عن كونه من شيعته.

ثم ختم سبحانه ببيان ما كان من بني إسرائيل نتيجة لهذا الامتحان، فقال: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾. أي: فشربوا من النهر حتى امتلأت بطونهم مخالفين بذلك أمر قائدهم، في وقت تعظُم فيه المخالفة لأنه وقت إقدام على الحرب، إلا عدداً قليلاً منهم فإنهم لم يشربوا إلا غُرفة واحدة، وهي التي رخّص لهم قائدهم في شربها.

ثم بيّن سبحانه ما كان من أتباع طالوت الذين نجحوا في الاختبار، فقال: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾. أي: فلما تخطّى طالوت النهر هو ومن نجح في الاختبار، وشاهدوا كثرة جنود جالوت، تردّد فريق منهم في خوض المعركة لقلة عددهم وكثرة عدوّهم، فقال بعضهم لبعض: لا قدرة لنا اليوم على محاربة أعدائنا ومقاومتهم فهم أكثر منا عَدداً، وأوفر عُدداً. وروى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: كنّا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عِدّة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر،

ولم يجاوز معه إلا مؤمن: بضعة عشر وثلاثمائة[١].

والقائلون هذا القول هم بعض المؤمنين الذين عبروا معه النهر، ولم يقولوا ذلك هروباً أو نكوصاً عن القتال، وإنما قالوه كمظهر من مظاهر الوَجَل الذي يعتري بعض النفوس عند الاستعداد للقتال، لأن الذين عصوا الله وخالفوا طالوت بشربهم من النهر جبُنوا عن لقاء العدو ولم يسيروا معه لقتالهم.

أما المؤمنون الصادقون الذين اتصلت قلوبهم بالله، والذين أذعنوا أنه لا نصر إلا منه وألّا اعتماد إلا عليه، فقد حكى القرآن موقفهم المشرّف، فقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. أي: قال الذين يتيقّنون أنهم ملاقوا الله يوم القيامة فيحاسبهم على أعمالهم، قالوا مشجّعين لإخوانهم الذين تهيّبوا قتال أعدائهم: كم من جماعة قليلة بإيمانها وصبرها تغلّبت بإذن الله وتيسيره على جماعة كثيرة بسبب كفرها وجبنها وتفكّكها، والله تعالى بعونه وتأييده مع الصابرين. وعلى هذا التفسير يكون المراد بلقاء الله الحشر إليه بعد الموت، ومجازاة الناس على ما قدّموا من عمل،

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٩٥٧.

ويكون المراد بالظنّ اليقين لأن كل مؤمن متيقّن بأن البعث حق. ويجوز أن يكون المراد بلقاء الله قربهم من رضاه يوم القيامة، وإثابتهم على جهادهم بالجنة، وعليه يكون الظنّ على معناه الحقيقي وهو الاعتقاد الراجح، لأن خواتيم الحياة لا يعلمها كيف تكون سوى علام الغيوب.

و(كم) في قولهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ خبرية للتكثير، وفي هذا التعبير الذي ذكره القرآن عنهم دليل على قوة إيمانهم وصفاء نفوسهم وثقتهم في نصر الله ثقة لا تُحَدّ، لأنهم أتوا بصيغة التكثير حتى لكأنّما أن القاعدة العامة هي انتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة.

وفي تعليقهم النصر على إذن الله، للإشعار بأنهم لم يعتمدوا على قوتهم وثباتهم وشجاعتهم فحسب، وإنما جعلوا اعتمادهم الأكبر على تأييد الله لهم. وهذا شأن العقلاء يبذلون أقصى جهدهم في بلوغ غايتهم مستعينين على ذلك بتأييد الله وتوفيقه.

ورحم الله الإمام القرطبي الذي عاصر دول الإسلام في الأندلس، وهي تسير في طريق الضعف والتدهور، فقال في ختام تفسيره لهذه الآية: «قلت: هكذا يجب علينا أن نفعل. لكن الأعمال القبيحة والنيّات الفاسدة، منعت من ذلك حتى انكسر العدد

الكبير منا أمام اليسير من العدوّ وكما شاهدناه غير مرّة، وذلك بما كسبت أيدينا! وفي البخاري: وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم[١]. وفي البخاري أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**»[٢]. فالأعمال فاسدة، والضعفاء مهمَلون، والصبر قليل، والاعتماد ضعيف، والتقوى زائلة! قال تعالى: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾[٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[٥]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[٦]، وقال: ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٧]. فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحلّ بنا»[٨].

---

(١) أورده البخاري في الجهاد: باب رقم ١٣: (عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْقِتَال).
(٢) أخرجه البخاري برقم ٢٨٩٦
(٣) آل عمران: ٢٠٠.
(٤) المائدة: ٢٣.
(٥) النحل: ١٢٨.
(٦) الحج: ٤٠.
(٧) الأنفال: ٤٥.
(٨) تفسير القرطبي (٣/٢٥٥).

ثم ذكر القرآن الكريم بعد ذلك ما قاله المؤمنون الصادقون عندما برزوا للقاء أعدائهم، فقال: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ أي: وحين برز طالوت ومن معه لقتال جالوت وجنوده، وأصبح الفريقان في مكان متّسع من الأرض بحيث يرى كل فريق خصمه، اتجه المؤمنون إلى الله تعالى بالدعاء قائلين بإخلاص وخشوع: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: أصبُب علينا الصبر صبّاً، حتى تتحقق فينا صفة الصبر كأحسن ما يكون التحقّق. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، أي: هب لنا من كمال القوّة والرسوخ عند القتال ما يجعلنا نثبت أمام أعدائنا، ولا نفرّ عند القتال. ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: اجعل الغلبة لنا عليهم، لأننا مؤمنون بأنك المعبود المستحق للعبادة وهم يكفرون بذلك. والمتأمّل في هذه الدعوات الثلاث يراها قد جمعت أسمى ألوان الأدب وحسن الترتيب، فهم قد صدروا دعاءهم بالتوسّل بوصف الربوبية فقالوا: ﴿رَبَّنَا﴾ أي يا خالقنا ويا منشئنا ويا مربّينا ويا مميتنا، وفي ذلك إشعار

أنهم يلجأون إلى من بيده وحده النفع والضر، والنصر والهزيمة. ثم افتتحوا دعاءهم بطلب الصبر عند المخاوف لأنه هو عدّة القتال الأولى، وركنه الأعلى، إذ به يكون ضبط النفس فلا تفزع، وبه يسكن القلب فلا يجزع. ثم التمسوا منه سبحانه أن يثبّت أقدامهم عند اللقاء، لأن هذا الثبات هو مظهر الصبر، ووسيلة النصر، وعنوان القوّة. ثم ختموا دعاءهم بما هو ثمرة ونتيجة للصبر والثبات وهو النصر على الأعداء. فماذا كانت نتيجة هذا الدعاء الخاشع الخالص؟ كانت نتيجته النصر المؤزّر الذي ذكره القرآن في قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. والفاء هنا سببية أي: أنهم بسبب دعائهم المخلص، وإيمانهم القوي، واستجابتهم لما أمرهم الله به، استطاعوا أن يكسروا أعداءهم ويهزموهم بتوفيق الله وتيسيره وتأييده.

ثم قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ أي: وقتل داود بن إيشا، وكان في جيش طالوت، جالوت الذي كان يقود جيش الكفر، وبقتله مزّق أتباعه شرّ ممزّق، ورزق الله طالوت ومن معه النصر والغلبة[1]. ثم بيّن سبحانه ما منحه لداود من نِعم فقال: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ

(١) هنا موضع الفائدة الثالثة، وهي: بين طالوت الإسرائيلي وجالوت الفلسطيني.

﴿ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾. أي: وأعطى الله تعالى عبده داود مُلك بني إسرائيل، وأعطاه النبوّة التي هي أشرف من المُلك، زيادة في تَرْقيته في درجات الشرف والكمال. كما علّمه سبحانه ممّا يشاء من فنون العلم، ومن أمور الدين والدنيا، كمعرفته لغة الطيور، وكلام الدوابّ، وصناعة آلات الحرب، وغير ذلك من ألوان العلوم المختلفة التي لا تحدّها إلا مشيئة الله وإرادته. ولم يجتمع الملك والنبوّة لأحد قبله في بني إسرائيل، وكانت قبله كل واحدة في سِبط، وورثه فيهما ابنه سليمان عليه السلام.

ثم بيّن سبحانه بعض مظاهر فضله على عباده، فقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾. أي: ولولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق، لفسدت الأرض وعمّها الخراب، لأن أهل الفساد إذا تُركوا من غير أن يقاوَموا استطارت شرورُهم، وتغلّبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطّلت مصالح الناس، وانتشر الفساد في الأرض.

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. أي: ولكن الله تعالى صاحب فضل عظيم، وإنعام كبير على الناس أجمعين، لأنه وضع لهم هذا التنظيم الحكيم، الذي أوجب فيه على

المصلحين أن يدافعوا المفسدين، وأن يقاوموهم بالطريقة التي تمنع فسادهم، حتى ولو أدّى ذلك إلى رفع السلاح في وجوههم، لأن السكوت عن فساد المفسدين سيؤدي إلى العقاب الذي يعمّهم ويصيب معهم المصلحين[١].

٢ ـ **عهد داود** عليه السلام:

إذاً أصبح داود عليه السلام هو الملك الثاني بعد طالوت، وفتح داود بيت المقدس وذلك عام **٧٩٩** ق.م.، أي بعد **٢٠٠** سنة من حكم العمالقة. ونقل التابوت إليها، وأعدّ العُدّة ليَشيد المسجد الأقصى، فوضع أساسه على قاعدة سُداسية الشكل، ويقال لهذا السبب يتخذ الصهاينة اليوم النجمة السُداسية شعاراً لهم[٢]. وقد يُنسب المسجد الأقصى أحياناً إلى داود عليه السلام باعتبار أنه واضع أساسه، فيقال مسجد داود. كما ورد عن عمر رضي الله عنه، لما فرغ من كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس، قال لبطريقها: دلّني على مسجد داود»[٣]. ثم إن داود عليه السلام عهِد بمهمّة البناء إلى ابنه سليمان عليه السلام. ولا يُدرى على وجه اليقين

(١) انظر في تفسير الآيات كلها تفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٤٦٠/١).

(٢) بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. عن مجلة البيان (٣٢/١٧٥).

(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (٢٥٥/١).

ما هو السبب الذي دفعه إلى تكليف ابنه ببنائه، ولكن يُستأنس لذلك بما رواه البيهقي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ لِلْعَبَّاسِ رضي الله عنه دَارٌ إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ فِي الْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: بِعْنِيهَا أَوْ هَبْهَا لِي حَتَّى أُدْخِلَهَا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَبَى. فَقَالَ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلَا بَيْنَهُمَا أُبَيّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه، فَقَضَى لِلْعَبَّاسِ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنهما. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: مَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم أَجْرَأُ عَلَيّ مِنْكَ. فَقَالَ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه: أَوْ أَنْصَحُ لَكَ مِنِّي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا بَلَغَكَ حَدِيثُ دَاوُدَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَهُ بِبِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَدْخَلَ فِيهِ بَيْتَ امْرَأَةٍ بِغَيْرِ إِذْنِهَا، فَلَمَّا بَلَغَ حُجَزَ الرِّجَالِ مَنَعَهُ اللَّهُ بِنَاءَهُ. قَالَ دَاوُدُ: أَي رَبِّ إِنْ مَنَعْتَنِي بِنَاءَهُ فَاجْعَلْهُ فِي خَلَفِي. فَقَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: أَلَيْسَ قَدْ قَضَيْتَ لِي بِهَا وَصَارَتْ لِي؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُهَا لِلَّهِ[1].

### ٣ ـ عهد سليمان عليه السلام:

تولّى سليمان عليه السلام المُلك بعد داود عليه السلام،

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٢٢٨٩.

واستمرّ في ملكه أربعين سنة، وبنى خلالها المسجد الأقصى بناءً محكماً ضخماً يتلاءم مع عظمة ملكه وما سُخّر له، فكان أول بناء للمسجد بهذه الضخامة والفخامة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى كَانَ مِنْ عَهْدِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنَاهُ بِنَاءً عَظِيماً»(١).

وقد ورد في السنّة حديث صحيح، ذكر فيه النبي ﷺ بناء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ للمسجد الأقصى، وذكر فيه سؤله لربه حين فرغ من بناء المسجد. وهو ما رواه النسائي وابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَلاَّ يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ فِيهِ إِلاَّ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه**». فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ**»(٢)(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٣٥١).

(٢) أخرجه النسائي برقم ٧٠١، وابن ماجه واللفظ له برقم ١٤٧٣، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم ١١٥٦.

(٣) هنا موضع الفائدة الرابعة، وهي: تحوّل قيادة البشرية إلى أمّة الإسلام.

## سِمات عهد الملوك

انتهى عصر الملوك بموت سليمان عليه السلام، وكان من أبرز سمات هذا العصر تكرّر حوادث الانحراف والكفر في بني إسرائيل، بنص سفر الملوك الأول في الإصحاح (١١). وقد بلغ الكفر والفجور عند اليهود إلى حدّ وصف النبيَّيْن الكريمَيْن داود وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ بارتكاب الكبائر حتى الشرك بالله عز وجل، وهذا من الكذب والبهتان والتحريف الموجود في كتب اليهود المقدّسة لديهم(١).

وقد ردّ الله تعالى على اليهود افتراءاتهم في حقّ نبيّه سليمان عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ

(١) موجز تاريخ اليهود والردّ على بعض مزاعمهم الباطلة للدكتور محمود عبدالرحمٰن قدح. عن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٣/٣٩).

وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1]. أي: أن اليهود لما نبذوا التوراة وراء ظهورهم بسبب إقرارها بنبوّة محمّد ﷺ وتأكيدها لصحة دينه، اتّبعوا الأباطيل والترّهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقىً وعزائم، وكانوا يحدّثون بها، ويدّعون أنها من عهد سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ، وأنها هي التي كان سليمان يحكم بها الإنس والجن. ولازم هذا عندهم أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً وإنما كان ساحراً كافراً. فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، وأثبته للشياطين فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[2].

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (١/٤٣).

# ثالثاً: عهد انقسام المملكة

بعد وفاة سليمان ـ عليه الصلاة والسلام، اجتمع بنو إسرائيل في أورشليم لتنصيب رحبعام بن سليمان مكان أبيه، واشترطوا عليه تخفيف الأحكام التي فرضها عليهم سليمان عليه السلام، لكنه رفض ذلك، فانحاز معظم الشعب، وهم أحد عشر سِبطاً، إلى مبايعة يربعام بن نباط. ويربعام هذا هو أحد قادة جيوش سليمان عليه السلام، وكان قد انشقّ عنه وهرب إلى مصر، ثم عاد إلى فلسطين بعد وفاة سليمان عليه السلام. وأما رحبعام بن سليمان فلم يبايعه إلا سِبط يهوذا، وهو أحد أسباط بني إسرائيل[1]. وبهذا انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى مملكتين متنازِعتيْن:

١ ـ إحداهما في الشمال، وتسمى: مملكة

(١) موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة. عن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٤/٣٩).

إسرائيل أو مملكة السامرة أو المملكة الشمالية، وعاصمتها: نابلس.

٢ ـ والأخرى في الجنوب، وتسمى: مملكة يهوذا أو المملكة الجنوبية، وعاصمتها: أورشليم. وهذا هو سبب تسمية اليهود اليوم للضفة الغربية بيهوذا والسامرة.

وفي هذه الفترة انتشر الفساد في بني إسرائيل، فوعظهم نبيّ لهم اسمه أشعياء، وذكّرهم وأنذرهم بأمر الله فلم يستجيبوا له، بل تمادَوا في طغيانهم حتى قتلوا نبيّهم ونشروه بالمنشار. ثم بعث الله إليهم نبياً آخر، وهو أرميا، فأنذرهم بأن الله سوف يسلّط عليهم جبّاراً يدمّرهم إذا لم يستجيبوا له، فكذّبوه واتهموه وسجنوه[١].

(١) بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. عن مجلة البيان (٣٢/١٧٥).

# رابعاً: عهد سقوط المملكتين

قام الأشوريون الذين يستوطنون العراق بغزو مملكة إسرائيل حتى تمكّنوا من القضاء عليها وتدميرها تدميراً كاملاً على يد الإمبراطور الآشوري سرجون الثاني، ونقلوا من بقي من أهلها أسرى إلى آشور، وهي العراق، وذلك في حدود عام ٧٢٢ ق.م. وبذلك انتهت المملكة الشمالية.

بقيت مملكة يهوذا الجنوبية تكافح وتناضل الطامعين فيها من أجل البقاء، إلى أن جاء فرعون مصر فزحف على مملكة يهوذا سنة ٦٠٨ ق.م. فاحتلها، واستمر في زحفه حتى احتل مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت تحت سلطة الآشوريين.

ثار البابليون (الكلدانيون)، الذين خلفوا الآشوريين في حكم العراق وورثوا ممتلكاتهم، لما فعله فرعون مصر، وزحفوا بقيادة ملكهم بختنصر (نبوخذ نصر) حتى احتلوا بيت المقدس ودمّروها، وأحرقوا المسجد

الأقصى، وحرّقوا التوراة، وسبوا أكثر السكان إلى بابل، وفرّ من نجا منهم إلى مصر والمغرب والحجاز واليمن. وبذلك انتهى ملك بني إسرائيل في فلسطين في حدود عام ٥٨٦ ق.م. بعد أن سيق أكثرهم أسارى إلى العراق، وهذا ما عُرف في تاريخ اليهود بالأسر البابلي أو السبي البابلي[١]. وقد كانت مدّة بقاء بني إسرائيل في فلسطين منذ دخولهم مع يوشع بن نون عليه السلام إليها وحتى إخراج بختنصر لهم منها حوالي خمسة قرون[٢].

## تحقق الوعد الأول

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ

(١) انظر قبل الكارثة نذير ونفير (ص٩١)، وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة. عن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٣٩/١٤٤).

(٢) قبل الكارثة (ص٩٢).

﴿ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[1].

المعنى: وأخبرنا بني إسرائيل في كتابهم التوراة خبراً مؤكّداً مفاده: لتفسدُنّ في الأرض مرّتين، ولتستكبرُنّ على الناس بغير حق استكباراً كبيراً.

وكان من مظاهر إفسادهم في الأرض: تحريفهم للتوراة، وتركهم العمل بما فيها من أحكام، وقتلهم الأنبياء والمصلحين.

ثم بيّن سبحانه أنه يسلّط عليهم بعد إفسادهم الأول في الأرض، من يقهرهم ويستبيح حرماتهم، ويدمّرهم تدميراً. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾، أي: فإذا حان وقت عقابكم يا بني إسرائيل على أُولى مرّتَيْ إفسادكم، بعثنا عليكم ووجّهنا إليكم ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، أي: أصحاب بطش شديد في الحروب والقتال. ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ﴾ أي: أذلوكم وقهروكم، وفتشوا عنكم بين المساكن والديار، لقتل من بقي منكم على قيد الحياة. وأصل الجَوْس:

(١) الإسراء: ٤ ـ ٨.

طلب الشيء باستقصاء واهتمام لتنفيذ ما من أجله كان الطلب.

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾، أي: وكان الوعد المذكور، وما ترتّب عليه من قتلكم وسلب أموالكم، وهتك أعراضكم، وتخريب دياركم، وعداً نافذاً لا مردّ له، ولا مفرّ لكم منه[١]. قال ابن كثير والألوسي وغيرهما: وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلّطين عليهم: من هم؟ فعن ابن عباس وقتادة: أنه جالوت الجَزَريّ وجنوده، سُلط عليهم أولاً ثم أُديلوا عليه بعد ذلك. وعن سعيد بن جبير: أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده، وكان ملكاً للأشوريين. وعنه أيضاً وعن غيره: أنه بختنصر ملك بابل[٢]. وقد جاء بختنصر بعد سنحاريب بأكثر من مائة سنة.

قال سيد طنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: والرأي الذي نختاره هو أن العباد الذين سلطهم الله على بني إسرائيل بعد إفسادهم الأول هم: جالوت وجنوده، ونستند في اختيارنا لهذا الرأي إلى أمور، من أهمّها ما يلي:

١ ـ ذكر القرآن الكريم في سورة البقرة، عند

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي (١/٢٥٩٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٤٧).

عرضه لقصة القتال الذي دار بين طالوت قائد بني إسرائيل وبين جالوت قائد أعدائهم، ما يدلّ على أن بني إسرائيل كانوا قبل ذلك مقهورين مهزومين من أعدائهم. ويتجلّى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ﴾، فقولهم كما حكى القرآن عنهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ﴾، يدل دلالة قوية على أنهم كانوا قبل قتالهم لجالوت مهزومين هزيمة اضطرتهم إلى الخروج عن ديارهم، وإلى مفارقة أبنائهم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ صريح في أن الله تعالى نصر بني إسرائيل بعد أن تابوا وأنابوا على أعدائهم. وهذا المعنى ينطبق على ما قصّه القرآن علينا، من أن بني إسرائيل بقيادة طالوت قد انتصروا على جالوت وجنوده. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾[1]. ولقد

(١) البقرة: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

كان هذا النصر نعمة كبرى لبني إسرائيل، فقد جاءهم بعد أن أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم، وبعد أن اعترضوا على اختيار طالوت ملكاً عليهم، وبعد أن قاتل مع طالوت عدد قليل منهم. ولاشك أن النصر في هذه الحالة، أدْعى لطاعة الله تعالى وشكره على آلائه.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أكثر ما يكون انطباقا على عهد حكم طالوت، وداود، وسليمان لهم.

ففي هذا العهد الذى دام زهاء ثمانين سنة، ازدهرت مملكتهم، وعزّ سلطانهم، وأمدّهم الله خلاله بالأموال الوفيرة، وبالبنين الكثيرة، وجعلهم أكثر من أعدائهم عدداً وقوّة. أما بعد هذا العهد، بل وقبل هذا العهد، فقد كانت حياتهم سلسلة من المآسي والنكبات[١].

قلت: ويؤيد هذا الاختيار أيضاً: أن الآية الكريمة ذكرت أن الذين أعيد لهم الكرة على أعدائهم هم بنو إسرائيل، أي: أن الجيش الذي قاتل الأعداء وانتصر عليهم يتكوّن أفراده من رجالات بني إسرائيل. وهذا الوصف ينطبق تماماً على جيش طالوت، إذ كان غالب

(١) انظر الوسيط لسيد طنطاوي (٢٥٩٧/١)، وتفسير ابن كثير (٤٧/٥).

جنده من بني إسرائيل. بخلاف من قال بأن الذي سُلّط عليهم أولاً وجاس خلال الديار هو سنحاريب ملك الأشوريين أو بختنصر ملك البابليين، فإن الجيش الذي قهر هؤلاء وأخرجهم من فلسطين لم يكن من بني إسرائيل، بل كان من الفراعنة كما هو الحال مع سنحاريب، أو من الفرس كما هو الحال مع بختنصر.

وبناء على هذا الاختيار: يكون الإفساد الأول لبني إسرائيل قد وقع منهم في عهد القضاة، فسلط الله عليهم العمالقة من الكنعانيين، سواء كانوا تحت قيادة جالوت أو غيره، فشرّدوهم في البلاد المجاورة. وظلوا مشرّدين في تلك البلاد فترة طويلة حتى قيّض الله تعالى لهم نبيّاً من أنبيائه، فنصّب عليهم طالوت ملكاً عليهم، فاجتمعوا تحت لوائه، ثم قاتلوا معه العمالقة تحت قيادة جالوت، وانتصروا عليهم.

وأما من ذهب إلى أن سنحاريب أو بختنصر هو الذي جاس خلال ديار بني إسرائيل، فيكون الإفساد الأول قد وقع منهم في عهد انقسام المملكة بعد سليمان عليه السلام.

# خامساً: عهد العودة إلى بيت المقدس

عاش بنو إسرائيل في المنفى أو السبي البابلي مدّة طويلة، انحرفوا خلالها عن الدين الحق وتأثروا بوثنيّة أسيادهم البابليين ومن جاء بعدهم.

وفي سنة ٥٣٩ ق.م. احتل الفرس بلاد بابل وورثوا ممتلكاتهم، وأظهر ملك الفرس قورش تعاطفاً نحو بني إسرائيل حيث سمح لهم بالعودة إلى فلسطين سنة ٥٣٦ ق.م.، فمنهم من عاد، ومنهم من فضّل البقاء في بابل.

ومن هذه الفترة الزمنيّة صار يُطلق عليهم اسم اليهود، بسبب اختلاط أنسابهم مع غير بني إسرائيل، وأصبحت كلمة اليهود تعني من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل. يقول المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس في كتابه (تاريخ الإسرائيليين): «ومن ذلك الزمان يختفي ذكر الأسباط العشرة الأخرى، فمن عاد منهم إلى فلسطين اختلط بسبطي يهوذا وبنيامين. وفي

ذلك الحين سُمِّي الإسرائيليون يهوداً ودُعيت بلادهم اليهودية». وقد عمد العائدون منهم إلى إعادة بناء مدينة بيت المقدس، كما أعادوا بناء المسجد الأقصى بعد أن تهدّم بالكليّة. ولكن مع عودتهم إلى فلسطين لم يكن لهم حكم فيها بل كان الحكم فيها للفرس(١).

ويرى المؤرخون أن إقامتهم في المنفى البابلي قدّرت بأربعين سنة، وهي ما بين سبي بختنصر لهم عام ٥٨٦ ق.م. وحتى إذن قورش لهم بالعودة إلى فلسطين عام ٥٣٦ ق.م. في حين يرى كثير من المفسرين أن إقامتهم في المنفى البابلي كانت أطول من أربعين سنة، وأن القرية التي أشار إليها القرآن الكريم، والتي عُمّرت بعد خرابٍ لم تكن إلا بيت المقدس.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ

(١) انظر قبل الكارثة (ص٩٣)، وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة. عن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٤/٣٩).

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[1]، قال: اختلفوا في هذا المارّ من هو؟ فروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: هو «عُزَيْر»، وحكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بُرَيْدَة، وهذا القول هو المشهور. وأما القرية، فالمشهور أنها بيت المقدس، مرّ عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها. ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾، أي: ليس فيها أحد، من قولهم: خوت الدار تخوي خواءً وخُويا. وقوله: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها. فوقف متفكّراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ﴾، وذلك لما رأى من دُثورها وشدّة خرابها وبُعدها عن العَوْد إلى ما كانت عليه. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾ قال: وعَمُرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجعت بنو إسرائيل إليها[2].

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٨٧).

## اليهود تحت حكم الرومان

ظلّ اليهود تحت حكم الفرس إلى أن احتلّ أرضهم الإسكندر الأكبر المقدوني اليوناني تلميذ أرسطو سنة ٣٢٠ ق.م.، فرحّب به اليهود هروباً من تسلّط الفرس عليهم. ثم ظلّوا تحت حكم الإسكندر حتى آل الأمر في فلسطين إلى البطالسة ملوك مصر، فصاروا تحت حكمهم إلى سنة ١٦٦ ق.م. وبعدها حاول اليهود الاستقلال عن البطالسة المحتلين، فقاموا بعدة حروب لاستعادة ملكهم تحت قيادة سِبط اللاويين منهم، فحكموا في ظل صراع ظلّ قائماً بينهم وبين أعدائهم، حتى استغلّ الرومان الوضع المتأزم فاستولوا على فلسطين عام ٤٠ ق.م.

حاول الرومان أن يُهدِئوا الأحوال ويسترضوا اليهود، فأقاموا عليهم أمراء منهم، كان أشهرهم هيردوس الذي أكمل بناء المسجد الأقصى على نسق بناء سليمان له في عام ٢٠ ق.م[١].

(١) قبل الكارثة (ص٩٤)، وبنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. مجلة البيان (٣٢/١٧٥).

## المسجد الأقصى في زمن زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام:

بقي المسجد الأقصى قائماً حتى جاء أواخر أنبياء بني إسرائيل، وهم زكريا عليه السلام وابنه يحيى عليه السلام وابن خالته عيسى عليه السلام، وكانوا في عصر واحد. وكان زكريا عليه السلام هو القائم على إدارة شؤون المسجد الأقصى، وهو الذي كفل مريم والدة عيسى عليهما السلام، حيث نذرتها أمّها وهي في بطنها لخدمة المسجد الأقصى. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

(١) آل عمران: ٣٥ ـ ٣٩.

ففي محراب المسجد الأقصى، وهو عبارة عن غرفة صغيرة مُلحقة بالمسجد، أقامت مريم تحت كفالة زكريا عليه السلام. قال الألوسي: والمحراب على ما روي عن ابن عباس: غرفة بُنيت لها في بيت المقدس، وكانت لا يصعد إليها إلا بسلّم[١]. وفي محراب المسجد الأقصى دعا زكريا ربّه أن يرزقه ذريّة طيّبة، فاستجاب الله تعالى دعوته، ورزقه بيحيى عليه السلام. وفي أرجاء المسجد الأقصى جمع يحيى عليه السلام بني إسرائيل ليبلغهم كلمات الله، بعد إشارة عيسى عليه السلام له بذلك.

روى الترمذي عن الحَارِث الأَشْعَرِيّ أن النَّبِيَّ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ. فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَامْتَلَأَ المَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا**

(١) الوسيط لسيد طنطاوي (٥٩٨/١).

بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ»،

فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟» قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ**»(١).

وكانت أحوال بني إسرائيل في زمن زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام في غاية من الفساد والانحراف: فعقائدهم قد طمست وأخلاقهم قد رذلت، وسيطرت عليهم المادية الجشعة حتى إنهم اتخذوا من المسجد المسمّى بالهيكل سوقاً للصيارفة والمُرابين وملهى لهم. وقد حذّرهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام من العقوبة(٢). ورد في الإنجيل: ثم دخل يسوع الهيكل وطرد جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة، ومقاعد باعة الحَمام، وقال لهم: (مكتوب: سيُدعى بيتي بيتَ صلاة، وأما أنتم فتجعلونه مغارة لصوص)(٣).

ولمّا لم يستجيبوا له أخبرهم بأن الله تعالى سوف يُسلط عليهم من يهدم معبدهم هذا. ورد في الإنجيل: ثم

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٨٦٣، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، كما صحّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/٣٦٣).

(٢) قبل الكارثة (ص٩٦)، وبنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. عن مجلة البيان (١٧٥/٣٢).

(٣) إنجيل متى ٢١: ١٢ ـ ١٣.

غادر يسوع ومضى من الهيكل، فاقترب تلاميذه لكي يُروه أبنية الهيكل، فأجاب وقال لهم: ألا ترون هذه كلها؟ الحقَّ أقول لكم: لن يُترك هنا حجر على حجر إلّا ويُنقض(١).

ولما انتشرت تعاليم المسيح عليه السلام ومواعظه بين الجموع ولاقت رواجاً كبيراً، خاف رجال الدين والساسة اليهود من تعاظم شأن المسيح عليه السلام وتهديد نفوذهم ومصالحهم، لذلك قاموا بإغراء الحاكم الروماني بيلاطس بقتله. وهنا تدخلت العناية الإلهية، فنجّى الله تعالى المسيح عليه السلام منهم ورفعه إليه، وألقى شَبَهه على الخائن الذي وَشَى به، فقاموا بصلب الخائن وهم يظنّونه المسيح عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾(٢).

(١) إنجيل متى ٢٤: ١ ـ ٢.
(٢) النساء: ١٥٦.

# سادساً: عصر الشتات اليهودي

ظلّ المسجد الأقصى قائماً بعد رفع عيسى عليه السلام، حتى حاول اليهود التمرّد على الحكم الروماني في عهد الإمبراطور نيرون، فأرسل نيرون إليهم القائد تيطس عام ٧٠م، فاحتل بيت المقدس، وأحرق المسجد الأقصى، وقتل الألوف منهم، حتى أخمد تمرّدهم. وفي عام ١٣٥م. عاد اليهود للتمرّد على الرومان مرة أخرى، وطالبوا بإعادة بناء المسجد الأقصى، وذلك في زمن الإمبراطور الروماني هادريان. فما كان منه إلا أن قاد حملة بنفسه حتى أزال ما بقي من معالم بيت المقدس، كما أزال ما بقي من حطام المسجد بعد تدمير تيطس لهما، وقتل من اليهود عدداً كبيراً، وشرّد من بقي منهم في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، ومنعهم من العودة إلى بيت المقدس، وقضى بذلك على الوجود اليهودي في فلسطين بشكل نهائي.

يقول المؤرخ اليهودي شاهين أريوس: «إلى هنا

ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمّة، فإنهم بعد خراب أورشليم (القدس) تفرّقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطّنوها أو نزلوا فيها. وقد قاسوا في غُربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء، فإن الرومانيين حظروا عليهم دخول أورشليم»[١].

قرّر الإمبراطور الروماني إيليوس هادريان محو كل أثر لليهودية في بيت المقدس، فبنى على أنقاض المدينة مستعمرة لجنوده، وأطلق عليها اسم (إيلياء كابيتولينا). والكلمة الأولى مأخوذة من اسم الإمبراطور إيليوس، والكلمة الثانية مأخوذة من اسم معبد الرومان كابيتول. وأقام في موضع المسجد الأقصى معبداً وثنيّاً سماه (جوبيتر) باسم أكبر أوثان الرومان.

بقي المعبد كذلك حتى اعتنق الرومان النصرانية في عهد الإمبراطور قسطنطين سنة **٣٢٤**م.، فهدم المعبد الوثني، وترك موضع المسجد خالياً من أيّ بناء بقية عهد الرومان النصارى[٢].

---

(١) قبل الكارثة (ص٩٨)، وموجز تاريخ اليهود. عن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٧/٣٩).

(٢) انظر بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. مجلة البيان (٣٢/١٧٥)، والمسجد الأقصى.. «وقفات وعبرات» =

## تحقق وعد الآخرة

ذهب المفسّرون إلى أن الإفساد الثاني من اليهود الذي ذكرته الآية الكريمة في أول سورة الإسراء قد وقع، وإن اختلفوا في القوم الذين سُلطوا عليهم. والراجح أن الإفساد الثاني وقع حين اتخذوا بيت الله تعالى سوقاً للربا والبيع الحرام، وأعظم منه حين تجرأوا على أنبياء الله تعالى، فقتلوا يحيى عليه السلام، وسَعَوْا في صلب المسيح عليه السلام، إلا أن الله تعالى عصمه منهم، كما اتهموا أمّه الصدّيقة بالزنا، وآذوا أتباعه من الحواريين، فاستحقوا عندها عقاب الله لهم. أنفذ الله تعالى فيهم وعيده الثاني، فسلط عليهم الرومان تيطس وهادريان، فشتّتوهم في أرجاء الأرض وحرّموا عليهم دخول الأرض المقدّسة. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[1]. قال سيد طنطاوي رحمه الله:

---

= للشيخ محمد عبدالكريم (٢١/١)، وهيكل سليمان هل هو حقيقة أم أسطورة؟ من أرشيف ملتقى أهل الحديث (٩٢٧٣/١)، وقبل أن يهدم الأقصى لعبدالعزيز مصطفى (ص٤٤).

(١) الإسراء: ٧.

أما العباد الذين سلطهم الله عليهم بعد إفسادهم الثاني، فيرى كثير من المفسرين أنهم بختنصر وجنوده. وهذا الرأي ليس ببعيد عن الصواب، لما ذكرنا قبل ذلك من تنكيله بهم، وسَوْقهم أسارى إلى بابل سنة ٥٨٨ ق.م. إلا أننا نُؤثر على هذا الرأي، أن يكون المسلّط عليهم بعد إفسادهم الثاني، هم الرومان بقيادة زعيمهم تيطس سنة ٧٠م. لأمور من أهمها:

١ ـ أن الذي يتتبع التاريخ يرى أن رذائل بني إسرائيل في الفترة التي سبقت تنكيل تيطس بهم، أشدّ وأكبر من الرذائل التي سبقت إذلال بختنصر لهم. فهم على سبيل المثال ـ قبيل بطش الرومان بهم، كانوا قد قتلوا من أنبياء الله زكريا ويحيى عليهما السلام، وكانوا قد حاولوا قتل عيسى عليه السلام، ولكن الله تعالى نجّاه من شرورهم.

٢ ـ ضربات الرومان في ذاتها كانت أشدّ وأقسى على بني إسرائيل من ضربات بختنصر لهم. فمثلاً عدد القتلى من اليهود على يد الرومان بقيادة تيطس بلغ مليون قتيل، وبلغ عدد الأسرى نحو مائة ألف أسير. بينما عدد القتلى والأسرى منهم على يد بختنصر كان أقل من هذا العدد بكثير.

ولقد وصف المؤرخون النكبة التي أوقعها الرومان

بهم، بأوصاف تفوق بكثير ما أوقعه البابليون بقيادة بختنصر بهم. يقول أحد الكُتّاب واصفاً ما حلّ باليهود على يد تيطس الروماني: كان تيطس في الثلاثين من عمره، حين وقف سنة ٧٠م. أمام أسوار أورشليم على رأس جيشه، بعد أن بدأت المدينة تعاني من أهوال الحصار. وبعد أن اقتحم تيطس وجنوده المدينة، أصدر أمره إليهم: أن احرقوا وانهبوا واقتلوا ، فأموال اليهود وأعراضهم حلال لكم. وقد أحرق الرومان معبد اليهود ودمّروه، وتحققت نبوءة المسيح عليه السلام حين قال: (ستلقى هذه الأرض بؤساً وعنتاً، وسيحل الغضب على أهلها، وسيسقطون صرعى على حدّ السيف، ويسيرون عبيداً إلى كل مصر، وستطأ أورشليم الأقدام).

٣ ـ النكبة التي أنزلها الرومان بهم من حيث آثارها أشنع بكثير من النكبة التي أنزلها بختنصر بهم. لأنهم بعد تنكيل بختنصر بهم وأخذهم أسرى إلى بلاده وبقائهم في الأسر زهاء خمسين سنة، عادوا إلى ديارهم مرة أخرى، بمساعدة قورش ملك الفرس، الذي انتصر على بختنصر سنة ٥٣٨ ق.م. تقريباً، وبدأوا يتكاثرون من جديد. أما بعد تنكيل تيطس بهم فلم تقم لهم قائمة، ومزّقوا في الأرض شرّ ممزّق ، وانقطع دابرهم كأمّة. وقد صرّح بهذا المعنى صاحب تاريخ الإسرائيليين، فقال

بعد وصفه لما أوقعه تيطس بهم من ضربات: إلى هنا ينتهي تاريخ الإِسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم على يد تيطس تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم بعد ذلك ملحق بتاريخ الممالك التي توطّنوها أو نزلوا فيها[١].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) الوسيط لسيد طنطاوي (١/٢٥٩٩).

# دخول الدولة الرومانية في النصرانية

بعد أن رفع الله المسيح عليه السلام إلى السماء تفرّق أصحابه شِيعاً. فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمَته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا هو الله، وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى غلوّهم في القرآن الكريم وأبطل ضلالاتهم.

وقد استمروا على هذا الخلاف قريباً من ثلاث مئة سنة حتى دخل في النصرانية أحد أباطرة الرومان وهو قسطنطين الكبير. ولما رأى قسطنطين شدّة الخلاف بين الفِرق المسيحية أمر بعقد مجمع ديني ضخم للفصل في خلافات المسيحيين في العقيدة، فعقد مجمعاً في نيقية سنة ٣٢٥م. وحضره ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً من جميع بلدان العالم، وكانوا على خلاف كبير في الآراء والمعتقدات. واتفق ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً منهم على أن المسيح هو ابن الله ـ تعالى الله عن كفرهم ـ

وأنه مساوٍ له في الجوهر، وأنه نزل من السماء وتجسّد من روح القدس، وصار إنساناً، وحُمِل به، ثم وُلد من مريم، وصُلب، ودُفن، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، وقالوا: نؤمن بروح القدس. وخالفهم باقي القساوسة في عقائدهم هذه، وذهبوا إلى أن المسيح هو رجل من البشر أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، وليس بإله. لكن قسطنطين مال إلى الرأي الأول المتضمّن لتعدّد الآلهة، بسبب خلفيّته الوثنيّة. ثم أجبر الناس على هذه العقيدة، وأمر بمصادرة كل الأناجيل التي تُخالفها. إذاً انتهى مجمع نيقية بقرارات كان أهمها: القول بألوهية المسيح، وتكفير سائر المخالفين. ثم عُقد مجمع آخر عام ٣٨١م، وحضره مائة وخمسون أسقفاً، وأجمعوا على أن روح القدس خالق غير مخلوق، وبهذا المَجْمع تمّ لهم التثليث، وقالوا: بأن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وفرض ملوك النصارى هذه العقيدة على الناس[١].

وفي عهد الإمبراطور قسطنطين استعاد النصارى،

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (٤٣/٢).

لا سيما الذين وافقوه في الرأي والمعتقد، حرّية التعبّد، وأصبحت الكنيسة النصرانية شرعيّة، وأعاد قسطنطين بناء بيزنطة، وأسماها القسطنطينية ـ وهي اليوم مدينة إسطنبول في تركيا ـ وجعلها عاصمته. ونقل قسطنطين نفوذ الإمبراطورية الرومانية إلى المقاطعات الشرقيّة، وبذلك أرسى أُسُسَ الإمبراطورية البيزنطيّة.

وكانت العلاقة بين الدولة الرومانية والنصرانية قبل تنصّر قسطنطين في غاية من التوتّر، إذ كثر في المسيحيين القتل والاضطهاد من قبل الرومان، أما بعد تنصّر قسطنطين في عام ٣٢٤م. بتأثيرٍ من أمّه هيلانة، فقد توقفت عمليات القتل والمطاردة للنصارى، وشيئاً فشيئاً راحت الدولة تصطبغ بالصبغة النصرانية.

# المسجد الأقصى
# في عهد الرومان النصارى

لما اعتنق الرومان النصرانية في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير، قاموا بهدم المعبد الوثني الذي شيّدوه على أنقاض المسجد الأقصى، وتركوا موضع المسجد خالياً من أيّ بناء. ولم يكن لموضع المسجد عند الرومان النصارى أيّ احترام أو قدسيّة، بل اتخذوا مكانه مزبلة، حتى إن المرأة كانت تُرسل خِرقة حيضتِها لتُلقى على الصخرة. إذ كانوا يعتبرون أن تدنيسهم لموضع المسجد الأقصى ما هو إلا انتقام من اليهود الذين دنّسوا القبر الذي دُفن فيه المسيح بزعمهم. وهكذا جعلوا موضع الصخرة، والتي كانت قِبلة كثير من أنبياء من بني إسرائيل ومنهم عيسى ابن مريم عليه السلام، مزبلة، نكاية باليهود حيث اتخذوها قِبلة لهم، وقاموا بتغيير قِبلتهم إلى جهة المشرق مخالفة لليهود. ولما قامت أم الإمبراطور قسطنطين واسمها هيلانة بزيارة القدس،

أمرت ببناء كنيسة ضخمة على قبر المصلوب وأطلق عليها اسم كنيسة القُمامة، نسبة إلى الزبالة التي كانت قد طمرت مكان القبر، أو كنيسة القيامة[١]. ولما فتح عمر بن الخطاب ﷺ بيت المقدس، وتحقّق من موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الزبالة، حتى ورد أنه كنَسها بردائه[٢].

(١) انظر مُوجَز لتاريخ القدس حَتى الفتح الإسلَامي للدكتور شفيق جاسر أحمد محمود. عن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٢٢٨/٢٨)، و بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. مجلة البيان (٣٢/١٧٥).

(٢) المسجد الأقصى... وقفات وعبرات (٢٠/١).

# المسجد الأقصى
# في زمن الإسراء والمعراج

ظلّ موضع المسجد الأقصى فضاءً خالياً من أيّ بناء بقيّة عهد الرومان النصارى، إلا أنه كان معروفاً رغم زوال الآثار والمباني منه.

ولما وقعت حادثة الإسراء والمعراج بنبيّنا محمد ﷺ من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، في عهد الحاكم الروماني هرقل عام ٦٢١م.، كان موضع المسجد الأقصى لا يزال خالياً من البناء، غير سور قديم أحاطت جوانبُه بساحة المسجد، وكان للسور أبواب، ولأحد الأبواب حلقة، وفي هذه الحلقة ربط النبي ﷺ دابته البُراق. ثم دخل ﷺ عبر الباب إلى الساحة الداخليّة، وهي المقصودة بالمسجد الأقصى، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[١][٢]. وأيضاً في قول النبي ﷺ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ ـ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ـ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ...**» الحديث[٣].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) الإسراء: ١.

(٢) بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. مجلة البيان (٣٢/١٧٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم ٤٢٩.

# المسجد الأقصى في عهد الفتح الإسلامي

جاء الفتح الإسلامي لبيت المقدس صُلحاً في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هـ، وكانت بيت المقدس وقتها تُعرف باسم إيلياء. ولم يكن لليهود وجود في بيت المقدس وقت الفتح الإسلامي؛ بل إن بطريرك النصارى اشترط في عقد تسليم المدينة عدم إدخال أحدٍ من اليهود إليها[١].

وبعد أن تسلّم عمر رضي الله عنه مفتاح المدينة، طلب من البطريرك صفرونيوس أن يدلّه على المسجد الأقصى، وكان يُعرف عندهم باسم مسجد داود. فسار معه حتى انتهى به إلى مكان الباب، وكان الزبل قد انحدر على درج الباب، فتجشّم عمر رضي الله عنه كنس الزبالة حتى دخل

(١) هنا موضع الفائدة الخامسة، وهي: تطور العلاقة بين اليهود والنصارى.

ونظر، فلما رأى ساحته الداخلية قال: «الله أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أُسري به إليه». وأخذ عمر والمسلمون معه يكنسون الزبالة عن الصخرة حتى ظهرت كلها. ولما عزم عمر رضي الله عنه على بناء مسجد في ساحة الأقصى، أحبّ أن يستشير في اختيار موضعه. فاستشار كعب الأحبار، وكان في أجناد الجيش، وكان يهودياً قد أسلم، فقال له: اجعله خلف الصخرة. أي: أشار عليه بأن تكون الصخرة أمام المسجد، فتجتمع للمصلي فيه القبلتان قبلة موسى عليه السلام وقبلة محمد صلى الله عليهما وسلم. فقال له عمر: «ضاهيت اليهودية يا أبا إسحاق». أي: شابهت اليهود فأحببتَ أن نعظّم قبلتهم ونتوجّه إليها مع قبلتنا. وكانت الصخرة قِبلة الأنبياء بعد موسى عليه السلام إلى أول زمن نبيّنا ﷺ، حيث صلى إليها فترة قبل تحويل القِبلة إلى الكعبة المشرّفة. ولم يأخذ عمر رضي الله عنه بمشورة كعب، بل بنى المسجد أمام الصخرة وجعل الصخرة في مؤخّرته[1].

وبعض المؤرّخين يرى أن عمر لم يبن مسجداً هناك، وأما سؤاله لكعب الأحبار فكان عن اختيار

(١) انظر البداية والنهاية (٦٨/٧) والأنس الجليل (٢٥٦/١).

موضع لأداء الصلاة فيه، وليس لبناء مسجد فيه. روى الإمام أحمد عَنْ عُبَيْدِ بْنِ آدَمَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ لِكَعْبٍ: أَيْنَ تُرَى أَنْ أُصَلِّيَ؟ فَقَالَ: إِنْ أَخَذْتَ عَنِّي صَلَّيْتَ خَلْفَ الصَّخْرَةِ فَكَانَتِ الْقُدْسُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ عُمَرُ: ضَاهَيْتَ الْيَهُودِيَّةَ، لَا وَلَكِنْ أُصَلِّي حَيْثُ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِبْلَةِ فَصَلَّى. ثُمَّ جَاءَ فَبَسَطَ رِدَاءَهُ فَكَنَسَ الْكُنَاسَةَ فِي رِدَائِهِ وَكَنَسَ النَّاسُ[١].

بقي المسجد الأقصى على حالته بعد الفتح الإسلامي إلى أن جاء الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان فبدأ ببناء مسجد حول الصخرة، وهو المسجد المشهور بقبّته الذهبية على المبنى المثمّن. وقد اعتنى ببنائه كثيراً ليضاهي به روعة الكنائس في القدس، وأن تتضاءل أمام ضخامته وروعته كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس في بلاد الشام. وبدأ في بنائه عام ٦٦ هجرية/٦٨٥م. وانتهى منه عام ٧٢ هجرية/٦٩١م. وأشرف على بنائه رجاء بن حيوة الكندي وهو من

(١) أخرجه أحمد برقم ٢٦٧. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٦٨/٧): وهذا إسناد جيّد، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرَج.

التابعين المعروفين، ويزيد بن سلام مولى عبدالملك بن مروان، ويعتبر هذا المسجد من أهم المعالم الإسلامية وأروعها، فهو يمثل إضافة إلى مكانته الدينيّة، أقدم نموذج للعمارة الإسلامية الرائعة. حتى قال المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون: إن بناء قبة الصخرة أعظم بناء يستوقف الناظر وإن جمالها وروعتها لا يصلان إلى خيال بني البشر.

وقد أجمع العديد من الباحثين والدارسين أن بناء قبّة الصخرة آية في الجمال يشهد للعرب بمدى ما وصل إليه مجدهم وغناهم وعظمتهم، فهي من أهم وأبدع آثار الأمويين، كما أنها أقدم أثر إسلامي في تاريخ العمارة الإسلامية[١].

كما قام الخليفة الأموي عبدالملك ببناء الجامع القبلي، وهو الجامع الذي تعارف الناس على تسميته بالمسجد الأقصى. وهو جامع مسقوف تعلوه قبّة رصاصيّة ويقع في ناحية القِبلة من ساحة الأقصى، وتقام فيه الجُمَع والجماعات، لذلك أطلق عليه اسم الجامع القِبلي. ويقع على بعد خمسمائة متر تقريباً من مسجد

(١) الأقصى في خطر. موسوعة البحوث والمقالات العلمية (ج١/٣).

الصخرة إلى الجنوب. وقد شرع ببنائه عام ٦٩٢م. ثم أتمّه ابنه الوليد بن عبدالملك سنة ٧٠٥م.

والظاهر أن عبدالملك بنى الجامع القِبلي في موقع المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أن عمر بناه على مستوى الأرضية الأصليّة للمسجد الأقصى، والتي تنخفض عن مستوى أرضية الجامع القبلي نحو الوادي[١]. لذلك لا يزال يُطلق على الجامع القِبلي إلى اليوم اسم مصلى عمر.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن عمر بن الخطاب بنى مصلى المسلمين في قِبلي المسجد أي في مقدّمة ساحة الأقصى، ثم قال: «وهو الذي يسميه العامة اليوم: المسجد الأقصى، والأقصى اسم للمسجد كله»[٢].

وقد سرى خطأ بين المسلمين إذ اعتقد كثير منهم أن المسجد الأقصى هو مسجد قبّة الصخرة. في حين تعارف الناس على أن المسجد الأقصى هو الجامع القِبلي ذو القبّة الرصاصيّة، إذ فيه تقام الجُمع والجماعات، وفيه المحراب والمنبر الرئيسان. وهذا

(١) انظر: أطلس معالم المسجد الأقصى.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٣٤٦/٢).

أيضاً خطأ، فالمسجد الأقصى شرعاً أوسع من هذين المسجدَيْن كما بيّن العلماء، ويدخل في مسمّاه كل ما التفّ عليه السور المحيط بساحة الأقصى، وتقدّر مساحته الاجمالية بـ ١٤٤٠٠٠ متر مربع. فيشمل الجامع القبلي الذي تقدر مساحته بـ ٤٥٠٠ متر تقريباً، ومسجد قبّة الصخرة وتقدر مساحته بـ١٠٠٠ متر مربع، والمصلى المرواني والأروقة والقباب والمصاطب والمدارس والمآذن والمكتبات والآبار وغيرها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى اسْمٌ لِجَمِيعِ الْمَسْجِدِ الَّذِي بَنَاهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ صَارَ بَعْضُ النَّاسِ يُسَمِّي الْأَقْصَى الْمُصَلَّى الَّذِي بَنَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُقَدِّمِهِ»(١).

وقد استمرّت التحسينات والزيادات على المسجد الأقصى في العهود الإسلامية المتتابعة.

ففي عهد العباسيين الذي تلا عهد الأمويين ثم عهد الطولونيين والأخشيديين، قام الخلفاء والسلاطين بإصلاحات وتوسيعات عديدة في المسجد الأقصى.

ثم جاء عهد الفاطميين، ووقعت القدس تحت حكمهم في عهد الحاكم الفاطمي المعزّ لدين الله، حيث

(١) مجموع الفتاوى (١١/٢٧).

احتل قائده جوهر الصقلي فلسطين عام ٩٦٩م. وقام الخليفة الفاطمي الظاهر ببناء أقسام عديدة من المسجد الأقصى سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م، إلا أن حكم الفاطميين لبلاد المسلمين آنذاك كان سبباً في سقوط الثغور الإسلامية تحت الاحتلال الصليبي. إذ عملوا على تقريب اليهود والنصارى في فلسطين وتزاوجوا منهم واتخذوا منهم الوزراء والمستشارين. ولما سار الجيش الصليبي نحو أنطاكية عام ١٠٩٨ ميلادية سقطت مباشرة، ثم تقدم نحو بيت المقدس عام ١٠٩٩ ميلادية فسقطت دون مقاومة تُذكر. ولم يكن نجاح الصليبيين في انتزاع بيت المقدس من أيدي الفاطميين مصادفة بلا خلفيات، لا بل الذي يدرس تاريخ الروافض ويتعرف على حقيقتهم المشبوهة يسهل عليه استيعاب حقيقة الأمر الذي سارت عليه الأحداث[١].

وقد وصف ابن كثير وغيره من المؤرّخين ملوك الدولة الفاطمية، بأنّهم من أنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة، فقال: وَقَدْ كَانَ الْفَاطِمِيُّونَ أَغْنَى الْخُلَفَاءِ، وَأَكْثَرَهُمْ مَالًا، وَكَانُوا مِنْ أَعْتَى الْخُلَفَاءِ وَأَجْبَرِهِمْ وَأَظْلِمِهِمْ، وَأَنْجَسِ الْمُلُوكِ سِيرَةً وَأَخْبَثِهِمْ سَرِيرَةً. ظَهَرَتْ

(١) قبل الكارثة (ص١٢٩).

فِي دَوْلَتِهِمُ الْبِدَعُ وَالْمُنْكَرَاتُ، وَكَثُرَ أَهْلُ الْفَسَادِ، وَقَلَّ عِنْدَهُمُ الصَّالِحُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ، وَكَثُرَ بِأَرْضِ الشَّامِ النُّصَيْرِيَّةُ وَالدَّرْزِيَّةُ وَالْحُشَيْشِيَّةُ، وَتَغَلَّبَ الْفِرِنْجُ عَلَى سَوَاحِلِ الشَّامِ بِكَمَالِهِ[1].

أعمل الصليبيون بأهل القدس مذبحة قُتل فيها سبعون ألفاً من سكانها، وعاثوا فيها فساداً وخراباً دونما اكتراث لقدسيّتها. كما لم يُراعوا حرمةً للمسجد الأقصى، بل شوّهوا بنيانه، وبنَوْا على مِحرابه جداراً لإخفاء معالمه، واتخذوا من المسجد سكنًا لجنودهم وخيولهم، وحوّلوا الصخرة إلى مذبح نصراني، ووضعوا التماثيل فوقها.

وقد دام احتلال الصليبيين للقدس ٨٨ عاماً، حتى جاء صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ وطهّرها من رجسهم. وقد بدأ صلاح الدين طريق تحرير القدس بإسقاط الدولة الفاطمية الباطنيّة أولاً، وأرجع مصر إلى السنّة، ووحّد مصر والشام، ومن ثم قاد حملات مركّزة ضد قلاع الصليبيين القريبة، حتى هزم الصليبيين في معارك عديدة كان أهمها معركة حطين، قرب بحيرة طبرية، عام ٥٨٣ هجرية/١١٨٧ ميلادية. وبعد ثلاثة أشهر فقط من معركة

(١) البداية والنهاية (١٦/٤٥٧).

حطين تمّ فتح بيت المقدس بفضل الله، وعاد الأذان إلى منابرها، وعاد المسجد الأقصى إلى ربوع الإسلام[١].

وقد عمل صلاح الدين على إزالة التشوّهات التي لحقت بالآثار الإسلاميّة، فطهّر قبّة الصخرة من التماثيل والهياكل التي وضعت فوقها، وأزال الجدار الذي وضعه الصليبيّون على محراب المسجد الأقصى، وأمر بتجديده، ونقل إلى المسجد الأقصى المنبر الذي أعدّه نور الدين زنكي لهذا اليوم، والذي صُنع بمدينة حلب. كما ملأ المسجد بنُسخ من القرآن الكريم وما يزال بعضها محفوظًا إلى الآن. وكذلك شيّد العديد من المدارس الإسلامية.

وفي عهد المماليك تمّت عدة تجديدات لعمارة المسجد الأقصى. وتحمل النقوش المحفورة على جدران المسجد أسماء الخلفاء والأمراء والملوك الذين تطوّعوا في كل مناسبة بالمحافظة على هذا الأثر الإسلامي الخالد.

وفي العهد العثماني، أَوْلى السلاطين العثمانيون المسجد الأقصى عنايتهم، فأقاموا عددًا من العمارات الإسلامية، وأقيمت التّكيّة العثمانية ٩٦٠ هجرية، كما

(١) المسجد الأقصى... وقفات وعبرات (١/٢٤).

تمّت توسعة المسجد، وأُجريت تجديدات وتحسينات لقبّة الصخرة، وامتدت الإصلاحات والتجديدات لتشمل المسجد الأقصى بكامله.

فالمسجد الأقصى المبارك توسّع بناؤه وتطوّر كثيراً بتتابع الزيادات والتحسينات التي أُجريت عليه في جميع العهود الإسلامية[١].

(١) المسجد الأقصى. الموسوعة العربية العالمية (ص ٢).

# المسجد الأقصى
# في عهد الاحتلال اليهودي

استمرّ المسجد الأقصى في حَوْزة المسلمين أيام العثمانيين إلى أن ضعفت الدولة العثمانية، وانهزمت في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م)، وخسِرت البلاد العربيّة التي كانت خاضعة لها. فاحتلت بريطانيا فلسطين سنة ١٩١٧م، وقطع وزير خارجيتها آرثر جيمس بلفور في العام نفسه وعداً لليهود بإعطائهم وطناً قومياً في فلسطين.

قامت بريطانيا خلال فترة انتدابها لفلسطين، وهي ثلاثون عاماً، بتهيئة الظروف لهجرة اليهود إلى فلسطين، كما قامت بتهيئة الأجواء لإعلان الدولة اليهوديّة. وما إن أعلنت بريطانيا إلغاء انتدابها على فلسطين عام ١٩٤٨م، حتى أعلن اليهود عن قيام دولتهم في العام نفسه وأطلقوا عليها اسم إسرائيل. وفي هذه الفترة سيطر اليهود على معظم أراضي فلسطين ومدنها، ومنها القدس

الغربيّة، وهي الجزء الغربي الحديث لمدينة القدس، وليس فيه شيء من الأماكن المقدّسة الموجودة فيما سمّي بالقدس الشرقيّة، والذي بقي جزءاً من الضفة الغربيّة التي سلمت من الاحتلال.

بقي المسجد الأقصى في هذه الفترة تحت الإدارة الأردنيّة حتى قامت حرب ١٩٦٧م. وهُزم فيها العرب شرّ هزيمة، واحتل اليهود جزءً من مصر وسوريا، كما احتلوا الضفة الغربيّة بما فيها القدس الشرقيّة والمسجد الأقصى[١].

وقع المسجد الأقصى تحت سلطة الاحتلال اليهودي ولا يزال، رغم كل اتفاقيّات السلام التي عُقدت بين الجانب العربي والجانب الإسرائيلي.

(١) هنا موضع الفائدة السادسة، وهي: علاقة هيكل سليمان بالمسجد الأقصى.

# فوائد الحديث

هذا الحديث له فوائد عظيمة ومنها:

## ❍ الفائدة الأولى: ميزة المساجد الثلاثة:

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[(١)]، أي: لا ينشئ الإنسان سفراً قاصداً بذلك مسجداً معيّناً للصلاة فيه إلا إلى هذه المساجد الثلاثة. والسرّ في تخصيصها بذلك أنّها قد بُنيت من قبل أنبياء كرام، وأنهم حثّوا الناس على قصدها للصلاة فيها ولو أتَوْا من مكان بعيد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَالحَجُّ الْوَاجِبُ لَيْسَ إلَّا إلَى أَفْضَلِ بُيُوتِهِ وَأَقْدَمِهَا وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. وَالسَّفَرُ الْمُسْتَحَبُّ لَيْسَ إلَّا إلَى مَسْجِدَيْنِ لِكَوْنِهِمَا

(١) أخرجه البخاري برقم ١١٣٢، ومسلم برقم ٣٤٥٠.

بَنَاهُمَا نَبِيَّانِ. فَالْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ أَسَّسَهُ عَلَى التَّقْوَى خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ، وَمَسْجِدُ إيليا قَدْ كَانَ مَسْجِدًا قَبْلَ سُلَيْمَانَ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: «قلت: يا رسول اللَّه أي مسجد وضع أولًا؟» قال: «**المسجد الحرام**». قال: قلت: «ثم أي؟» قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: «كم بينهما؟» قال: «**أربعون سنة ثم حيث ما أدركتك الصلاة فصل فإنه لك مسجد**»، وَفِي لَفْظِ الْبُخَارِيِّ: «**فإن فيه الفضل**»، وَهَذِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ. فَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى كَانَ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَكِنَّ سُلَيْمَانَ عليه السلام بَنَاهُ بِنَاءً عَظِيماً.

فَكُلٌّ مِنْ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ بَنَاهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ لِيُصَلِّيَ فِيهِ هُوَ وَالنَّاسُ. فَلَمَّا كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ عليهم السلام تَقْصِدُ الصَّلَاةَ فِي هَذَيْنِ الْمَسْجِدَيْنِ شُرِعَ السَّفَرُ إلَيْهِمَا لِلصَّلَاةِ فِيهِمَا وَالْعِبَادَةِ، اقْتِدَاءً بِالْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَتَأَسِّياً بِهِمْ. كَمَا أَنَّ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام لَمَّا بَنَى الْبَيْتَ وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِحَجِّهِ فَكَانُوا يُسَافِرُونَ إلَيْهِ مِنْ زَمَنِ إبْرَاهِيمَ عليه السلام وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَرْضاً عَلَى النَّاسِ فِي أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ. كَمَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَفْرُوضاً فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَإِنَّمَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى

مُحَمَّدٍ ﷺ فِي آخِرِ الْأَمْرِ لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وَفِي الْبَقَرَةِ أَمَرَ بِإِتْمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ لِمَنْ شَرَعَ فِيهِمَا؛ وَلِهَذَا كَانَ التَّطَوُّعُ بِهِمَا يُوجِبُ إِتْمَامَهُمَا عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ. وَقِيلَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْإِتْمَامِ إِيجَابٌ لَهُمَا ابْتِدَاءً، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ. فَكَذَلِكَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى وَمَسْجِدُ النَّبِيِّ ﷺ بَنَى كُلًّا مِنْهُمَا رَسُولٌ كَرِيمٌ وَدَعَا النَّاسَ إلَى السَّفَرِ إلَيْهِمَا لِلْعِبَادَةِ فِيهِمَا. وَلَمْ يَبْنِ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام مَسْجِدًا وَدَعَا النَّاسَ إلَى السَّفَرِ لِلْعِبَادَةِ فِيهِ إلَّا هَذِهِ الْمَسَاجِدَ الثَّلَاثَةَ. وَلَكِنْ كَانَ لَهُمْ مَسَاجِدُ يُصَلُّونَ فِيهَا وَلَمْ يَدْعُوا النَّاسَ إلَى السَّفَرِ إلَيْهَا، كَمَا كَانَ إبْرَاهِيمُ عليه السلام يُصَلِّي فِي مَوْضِعِهِ وَإِنَّمَا دَعَا النَّاسُ إلَى حَجِّ الْبَيْتِ. وَلَا دَعَا نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ إلَى السَّفَرِ إلَى قَبْرِهِ وَلَا بَيْتِهِ وَلَا مَقَامِهِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ بَلْ هُمْ دَعَوْا إلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. قَالَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَهُمْ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾(١)(٢).

(١) الأنعام: ٨٨ ـ ٩٠

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٢/٢٧).

## ❍ الفائدة الثانية: أوّل وآخر جهاد في الأرض إنما يكون على أرض فلسطين:

لم يكن الجهاد مشروعاً في الأمم الماضية، وإنما شُرع الجهاد أوّل ما شُرع في زمن موسى عليه السلام. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1]. قال ابن كثير رحمه الله: «كان الله تعالى يُعاقب الأمم السالفة المكذّبة للأنبياء بالقوارع التي تعمّ تلك الأمّة المكذّبة. كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعادًا الأولى بالدبُور، وثمود بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجّيل، وقوم شعيب بيوم الظلّة. فلما بعث الله تعالى موسى عليه السلام وأهلك عدوّه فرعون وقومه بالغرق في اليمّ، ثم أنزل على موسى التوراة، شرع فيها قتال الكفار، واستمر الحكم في بقيّة الشرائع بعده على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾»[2].

---

(١) القصص: ٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢١).

إذاً نزل تشريع الجهاد أوّل ما نزل في كتاب التوراة التي أنزلها الله على رسوله موسى عليه السلام. ثم أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يأمر قومه بدخول الأرض المقدّسة، وهي أرض فلسطين، وقتال العمالقة الذين كانوا يسكنونها. خافت بنو إسرائيل من قتال العمالقة فنكلوا عن الجهاد مع موسى عليه السلام، فعاقبهم الله تعالى بحرمَانهم من الدخول إليها أربعين سنة. وبعد مضي الأربعين سنة أذن الله تعالى بفتح الأرض المقدّسة على يدِ فتى موسى، الذي خَلَفه على قومه من بعد موته، وهو نبيّ الله يوشع بن نون عليه السلام. فأوّل جهاد في التاريخ البشري كان على يدِ يوشع بن نون عليه السلام وفي أرض فلسطين.

ويعتبر موسى عليه السلام أعظم أنبياء بني إسرائيل، كما يُعدّ قومه من أكبر الأمم بعد أمّة محمد ﷺ يوم القيامة، فهو أكثر الأنبياء تابعاً بعد نبيّنا محمد ﷺ، كما ورد في السنّة الصحيحة. روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِي ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ. وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ،**

**فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»** الحديث[1].

فتاريخ بني إسرائيل، وإن بدأ زمنيّاً مع يعقوب عليه السلام وأبنائه الأسباط الاثني عشر، إلا أن تاريخهم السياسي بدأ مع موسى عليه السلام، إذ في عهده فُصّلت الشرائع ووُضعت الأحكام وشُرع الجهاد[2].

إذاً أول جهاد في التاريخ كان على يد نبي الله يوشع بن نون عليه السلام، وفي أرض فلسطين. وأما آخر جهاد فسيكون بإذن الله تعالى على يد نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وفي أرض فلسطين. روى أحمد عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الأَرْضِ: الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ. وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: أَنَا رَبُّكُمْ، وَهُوَ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ**

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٧٥٢.

(٢) بنو إسرائيل والمسجد الأقصى تاريخ ووقفات. مجلة البيان (٣٢/١٧٥).

بِأَعْوَرَ. مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ (ك ف ر) مُهَجَّاةٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ. يَرِدُ كُلَّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ إِلاَّ الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ، حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَامَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَبْوَابِهَا. وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلاَّ مَنْ تَبِعَهُ. وَمَعَهُ نَهْرَانِ، أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ، نَهْرٌ يَقُولُ: الْجَنَّةُ، وَنَهْرٌ يَقُولُ: النَّارُ، فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ، وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ. قَالَ: وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ. وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ: يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، فَيَقْتُلُ نَفْساً ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ، لاَ يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ. وَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلاَّ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ، فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ، وَيُجْهِدُهُمْ جَهْداً شَدِيداً. ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ فَيَقُولُ: يا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟ فَيَقُولُونَ: هذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ، فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ. فَتُقَامُ الصَّلاَةُ، فَيُقَالُ لَهُ: تَقَدَّمْ يا رُوحَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ. فَإِذَا صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ. قَالَ: فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابَ، يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللَّهِ

**هَذَا يَهُودِي، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَداً إِلاَّ قَتَلَهُ»**[١].

فهذه المعركة بين المسيح عليه السلام ومن معه من المؤمنين من جهة، وبين الدجّال ومن معه من اليهود والمنافقين من جهة أخرى، إنما تكون على أرض فلسطين. فالدجّال حين يرى المسيحَ بن مريم عليه السلام، يَنْمَاثُ منه كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أي: يفرّ خوفاً منه ويختفي كما يختفي الملح في الماء، حتى يعثر عليه المسيح عليه السلام في أرض فلسطين فيقتله. روى الترمذي عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يقتل ابنُ مريم الدجّال بباب لدّ**»[٢]، واللدّ مدينة من مدن فلسطين، وهي الآن بيد اليهود المحتلّين. فالمسيح عليه السلام يلتقي بالدجّال عند باب اللدّ الشرقي فيقتله، وينهزم أتباعه من اليهود والمنافقين، فيختبئون وراء كل حجر أو شجر يجدونه أمامهم،

---

(١) أخرجه أحمد برقم ١٥٣٤١، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال (١/٧٣): وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أن أبا الزبير مدلس وقد عنعنه، ومع ذلك قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي وصحّحه، كما صحّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم ٢٢٤٤.

فيُنطق الله تعالى الحجر والشجر ليدلّوا على اليهود، حتى يُقتلوا عن آخرهم.

هذه المعركة هي آخر معركة تفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وبها ينتهي الجهاد في الأرض. ودليله ما رواه أبو داود عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ**»(١).

## ○ الفائدة الثالثة: تحوّل قيادة البشرية إلى أمّة الإسلام:

روى النسائي وابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ ثَلاَثًا: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَلاَّ يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ فِيهِ إِلاَّ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه**». فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِي الثَّالِثَة**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود برقم ٢٤٨٦، وصحّحه الألباني في الصحيحة برقم ١٩٥٩.

(٢) أخرجه النسائي برقم ٧٠١، وابن ماجه واللفظ له برقم ١٤٧٣، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم ١١٥٦.

في هذا الحديث يبيّن النبي ﷺ أن سليمان عليه السلام لما انتهى من بناء بيت المقدس، أي بناء المسجد الأقصى الموجود في بيت المقدس، بدليل قوله بعده: «**وألّا يأتي هذا المسجد أحد..**». سأل الله ثلاثاً، أي دعا الله تعالى بثلاث دعوات.

**الدعوة الأولى**: سأل الله ﷻ حكماً يصادف حكمه. أي دعا الله تعالى أن يوفّقه للصواب في المسائل الاجتهادية حتى يوافق حكمُه فيها حكمَ الله تعالى. وقد أجاب الله دعوته هذه كما في رواية النسائي «سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ».

وقد ظهرت معالم الاستجابة لدعوته الأولى في وقائع متعددة.

**الواقعة الأولى**: قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾[1].

وقد ذكر المفسّرون عند تفسيرهم لهذه الآيات

(١) الأنبياء: ٧٨ ـ ٧٩.

روايات ملخصها: «أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما: صاحب زرع، والآخر صاحب غنم. فقال صاحب الزرع لداود: يا نبي الله، إن غنم هذا قد نفشت في حرثي فلم تُبقِ منه شيئاً. أي: انتشرت غنمه في زرعي ليلاً دون أن يكون معها راعٍ فرَعَتْه وأفسَدَتْه، فالنفش هو الرعي بالليل خاصّة. فحكم داود عليه السلام لصاحب الزرع أن يأخذ غنم خصمه في مقابل إتلافها لزرعه. وعند خروجهما التقيا بسليمان عليه السلام فأخبراه بحكم أبيه. فدخل سليمان على أبيه، فقال له: يا نبي الله، إن القضاء غير ما قضيت. فقال له: كيف؟ قال: ادفع الغنم إلى صاحب الزرع لينتفع بها، وادفع الأرض إلى صاحب الغنم ليقوم عليها حتى يعود زرعه كما كان. ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده، فيأخذ صاحب الزرع زرعه، وصاحب الغنم غنمه. فقال داود عليه السلام: القضاء ما قضيت يا سليمان»[1].

**الواقعة الثانية:** روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا. فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ. فَتَحَاكَمَتَا**

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي (٩/٢٣٤).

**إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى. فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليه السلام، فَأَخْبَرَتَاهُ. فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ، يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا. فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى»**[1].

**وأما الدعوة الثانية:** فقد سأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، أي: سَأَلَ اللَّه تَعَالَى أن يعطيه مُلْكاً لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلُهُ. وقد أجاب الله دعوته هذه، كما بيّنت رواية النسائي: «**وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوتِيَهُ**». وورد في القرآن الكريم ذكر دعوة سليمان عليه السلام هذه، كما ورد ذكر أصناف الملك الذي خصّه الله تعالى به من دون الناس. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾[2]. أي لمّا سأل سليمان ربه ملكاً لا يكون مثله لسواه من الناس، استجاب الله تعالى دعوته، فسخّر

(١) أخرجه مسلم برقم ١٧٢٠.

(٢) ص: ٣٤ ـ ٣٩.

له الريح وغيرها، فالفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ للتفريع على ما تقدّم من طلب سليمان من ربه أن يهبَه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده. أي: دعانا سليمان عليه السلام والتمس منّا أن نعطيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجبنا له دعاءه، وذلّلنا له الريح، وجعلناها منقادة لأمره بحيث تجري بإذنه رخيّة ليّنة، إلى حيث يريدها أن تجري. كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ الآية[1]. أي: كانت الريح تقطع به مسافة شهر في الصباح، وأخرى في المساء أي: من منتصف النهار إلى الليل، فتقطع به مسيرة شهرين في يوم واحد، وذلك أنه كان لسليمان عليه السلام مركب من خشب يحمل فيه الرجال والعتاد وترفعه الجانّ من الأرض، فإذا ارتفعت جاءت عاصفة فتحملها ثم تتحوّل إلى رخاء، فيوجه سليمان السفينة حيث شاء بكل ما تحمله، وينزل بها، كسفينة فضاء تماماً[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ معطوف على الريح، أي: سخّرنا له الريح تجري بأمره.. وسخّرنا له الشياطين، بأن جعلناهم منقادين لطاعته،

(١) سبأ: ١٢.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٣٠٩/٤).

فمنهم من يقوم ببناء المباني العظيمة التي يطلبها سليمان منهم، ومنهم الغوّاصون الذين يغوصون في البحار ليستخرجوا له منها اللؤلؤ والمرجان، وغير ذلك من الكنوز التي اشتملت عليها البحار، ومنهم من إذا عصاه وتمرّد عليه جمع يديه إلى عنقه بصفد ووضعه تحت الأرض[١].

وممّا يدل على اختصاص سليمان عليه السلام بتسخير الجنّ له: ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا**»[٢]. فنبيّنا ﷺ لما تمكّن من العفريت، وفكّر في إذلاله بربطه على عمود المسجد حتى ينظر إليه الناس ويلعب به صبيان أهل المدينة، وهو نوع من تسخير الجنّ له، تذّكر عندها دعوة أخيه سليمان عليه السلام حين سأل الله ملكاً خاصاً به، وكان من جملته تسخير الجنّ له، لذلك كره ﷺ

---

(١) انظر التفسير الوسيط للطنطاوي (١٢/١٦٥)، وأيسر التفاسير للجزائري (٤/٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم ٣٤٢٣، ومسلم برقم ٥٤١.

أن يُزاحمه في تلك الخصوصية، فأطلق سراح العفريت[١].

**وأما الدعوة الثالثة**: فلم يقطع نبيّنا ﷺ بإجابتها له، بل رجا ذلك. فقال: «**أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة**». والرجاء لغة لا يفيد القطع وإنما يفيد الظنّ، ولكن إذا وقع من النبي ﷺ صار أقرب إلى القطع منه إلى الظنّ، لكرامته ﷺ على ربّه ﷻ. قال صاحب ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: ولما كان رجاؤه ﷺ في مثل هذا يفيد التحقيق، استدلّ به المصنف (أي: الإمام النَسائي) رَحِمَهُ اللَّهُ على فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، وكذا فعل ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه، والله أعلم[٢].

والدعوة الثالثة معناها: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا الله تعالى للمسجد الأقصى: أن لا يقصده أحد، ولا يقصده إلا بنيّة الصلاة فيه، إلا أكرمه الله تعالى بأن يُخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمّه، وهو كناية عن تكفير جميع

---

(١) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٥٢١/٨)، وهو شرح لسنن النسائي، شرحه محمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.

(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٥٢٥/٨).

ذنوبه؛ لأن المولود حين يولد لا يكون عليه شيء من الذنوب.

ونلاحظ هنا أن هذا الأجر العظيم المترتّب على زيارة المسجد الأقصى، إن انطلقنا من تحقّق رجاء النبي ﷺ فيه، إنما كان وارداً في شريعة سليمان عليه السلام، ولم يعد قائماً في شريعتنا، إذ لو كان باقياً في شريعتنا لذكره النبي ﷺ في معرِض ذكره لفضيلة الصلاة في المسجد الأقصى.

وقد ورد في شريعتنا عدّة أحاديث تتعلق بثواب الصلاة في المسجد الأقصى، ولم يرِد فيها شيء يتعلق بخروج قاصد الصلاة فيه من خطيئته كيوم ولدته أمّه.

# ذكر الأحاديث الواردة في فضل الصلاة في المسجد الأقصى

❖ **الحديث الأول**: حديث أبي ذر ﷺ قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيّهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ، أو مسجد بيت المقدس، فقال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلواتٍ فيه، ولنِعم المصلى، وليوشكنّ أن لا يكون للرجل مثل شطن فرسه**[(١)] **من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعاً ـ أو قال: خير من الدنيا وما فيها**»[(٢)].

❖ **الحديث الثاني**: حديث أبي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاةٍ، وَالصَّلَاةُ**

---

(١) شطن فرسه: أي حبل فرسه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم ٨٥٥٣ وصحّحه، ووافقه الذهبي، كما صحّحه الألباني في تمام المنّة في التعليق على فقه السنة (ص: ٢٩٤)، وفي الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب (٥٤٨/٢).

**فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِخَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ»**[(١)].

❖ **الحديث الثالث**: حديث مَيْمُونَةَ بنت سعد رضي الله عنها، مَوْلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: «**أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَتُهْدِي لَهُ زَيْتاً يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٣٨٤٥، وهو مختلف في صحته، فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد برقم ٥٨٧٣: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَفِي بَعْضِهِمْ كَلَامٌ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته برقم ٣٥٦٩.

(٢) أخرجه أحمد برقم ٢٧٦٢٦ وابن ماجه برقم ١٤٠٧، وهو أيضاً مختلف في صحته، فقد حسّنه النووي رحمه الله في المجموع شرح المهذب، فقال (٢٧٨/٨): رواه أحمد بن حنبل في مسنده بهذا اللفظ ورواه به أيضاً ابن ماجه بإسناد لا بأس به. وقال البوصيري في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/٤): وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. كما صحّحه الألباني في الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ثم رجع عن تصحيحه، وضعّفه في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٤٠٧/٣). وقال الألباني رحمه الله في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي (ص١٥): «إسناده صحيح، كما قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في زوائده، وقوَّاه النووي في=

فهذه هي أصح الأحاديث الواردة في فضل الصلاة في المسجد الأقصى، وأعلاها، إن صح، لا يتجاوز مضاعفة الأجر فيه بألف صلاة فيما سواه من المساجد. قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد أثراً عن سفيان يفيد بأن: «الصلاة في المسجد الأقصى بأربعين ألف صلاة»، وبدأ ببيان بطلانه، ثم قال: ومما يُبطله أيضاً أنّ أكثر ما صحّ عنه ﷺ في فضل الصلاة في بيت المقدس أنها بألف صلاة، رواه ابن ماجة وأحمد بسند جيّد، وهذا الأثر يقول: إنها بأربعين ألف صلاة، ثم بدا لي أنه غير

---

= المجموع، وقد تكلمنا عليه مفصّلًا في كتابنا «الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب» في المساجد، ثم تبيَّنَ لي أنه معلول، ولذلك نقلته من صحيح أبي داود إلى ضعيفه ٦٨». وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على سنن ابن ماجه (٤١٣/٢): إسناده ضعيف، زياد بن أبي سودة وإن روى عنه جمع، ووثقه مروان بن محمَّد الدمشقي، فيما نقله عنه أبو زرعة في «تاريخه» ٣٣٨/١، وذكره ابن حبان في «الثقات»، إلا أن الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ قال في الميزان: في النفس شيء من الاحتجاج به، وأورد له هذا الحديث، وقال: هذا حديث منكر جدًا. ثم نقل عن عبدالحق في الأحكام الوسطى ٢٩٨/١ قوله فيه: ليس هذا الحديث بقوي، وقول ابن القطان في الوهم والإيهام ٥٣٥/٥: زياد وعثمان ممن يجب التوقّفُ في روايتهما، وقال الحافظ في الإصابة ١٣٠/٨ في ترجمة ميمونة بنت سعد عن حديثها هذا: فيه نظر.

جيّد السند، فيه علة تقدح في صحته، وإن كان لي سلف في تصحيحه، وقد بيّنتها في «ضعيف أبي داود، باب السرج في المساجد». نعم قد صحّ أن الصلاة في بيت المقدس على الربع من الصلاة في المسجد النبوي، رواه البيهقي، فبه يبطل أثر الثوري من باب أولى كما لا يخفى)[١]. وعلى أي حالٍ، سواء صحّ هذا الحديث أو لم يصح، فالأجر الأعلى الوارد في شريعتنا في فضل الصلاة في المسجد الأقصى لا يتجاوز الألف صلاة فيما سواه من المساجد، وهذا يدلّ على أن الأجر الوارد فيه في عهد سليمان عليه السلام، وهو: (أن يَخرُج من قصد الصلاة فيه من خطيئته كيوم ولدته أمّه)، لم يعد باقياً في شريعتنا، إذ لو كان باقياً لذكره نبيّنا ﷺ في معرِض ذكره لفضيلة الصلاة في المسجد الأقصى. وإذا تأمّلنا هذا الأجر العظيم الذي حَظِي به المسجد الأقصى في عهد سليمان عليه السلام، نلاحظ أن هذا الأجر بعينه قد أُعطي في شريعتنا لمسجد آخر، وهو المسجد الحرام بمكّة المكرّمة. فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[٢]. فالإسلام أعطى هذا

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص: ١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم ١٨٢٠.

الأجر العظيم لكل من قصد البيت الحرام حاجّاً، وأمّا من قصده لمجرّد الصلاة فيه فإن صلاته تضاعف إلى مائة ألف.

ومن هنا يمكننا القول أن الأجر العظيم الذي أُعطي للمسجد الأقصى قد تحوّل إلى المسجد الحرام، وإن اختلفت العبادة التي عُلّق عليها هذا الأجر من صلاة إلى حج، إلا أن المكان الذي ارتبط به هذا الأجر صار محصوراً بالمسجد الحرام. ففي السابق كان هذا الأجر يُعطى لمن قصد المسجد الأقصى للصلاة فيه، وأما اليوم فقد صار هذا الأجر نفسه يُعطى لمن قصد المسجد الحرام ناوياً الحج.

وهذه الإشارة بتحوّل هذا الأجر العظيم من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، إذا أضفنا إليها إشارة أخرى، وهي تحوّل قِبلة المصلين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، تدفعنا إلى الاعتقاد بأن وراء هاتين الإشارتين مغزىً مهماً، وهو أن مركز الزعامة الدينيّة للبشريّة قد تحوّل من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، ومن بيت المقدس إلى مكّة المكرّمة، وكذا زِمام القيادة الدينيّة للبشرية قد تحوّل من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وهم العرب.

وقد ظهر هذا التحوّل جليّاً في حادثة الإسراء، إذ

أُسري بالنبي محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وجمع الله له فيه الأنبياء السابقين فصلى بهم إماماً، وهذا يدلّ على تسلّمه ﷺ زِمام القيادة الدينية للبشرية من هؤلاء الرسل الكرام. فبوجوده لا يتقدّم أحد عليه، وببعثته لا تتقدم شريعة على شريعته، وعندما يرجع عيسى عليه السلام إلى الأرض من جديد لا يسعه إلا أن يتّبع محمداً، ولهذا يأبى عليه السلام أن يتقدّم على إمام المسلمين في الصلاة. روى مسلم عن جَابِر بْنَ عَبْدِ اللّهِ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(١).

وهكذا ببعثة النبي محمد ﷺ، وبإمامته للأنبياء في المسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج، تحوّل ميراث النبوّة من بني إسحاق إلى بني إسماعيل. وبتحوّل القِبلة وكذا تحوّل الأجر العظيم من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرّفة، انتقل مركز الهداية من بيت المقدس إلى مكّة المكرّمة. وبإنزال القرآن الكريم باللسان العربي

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٤٧.

المبين تحوّل الاختيار الربّاني للقيادة الدينيّة للبشرية من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل من العرب.

وقد وردت في القرآن الكريم إشارات كثيرة ترشد إلى هذا المعنى، ومنها: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثُمَّ قال جل جلاله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾، قِيلَ: مَعْنَاهُ لَشَرَفٌ لك ولقومك، قاله ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَلَمْ يَحْكِ سِوَاهُ. ومعناه أَنَّهُ شَرَفٌ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أُنْزِلَ بِلُغَتِهِمْ، فَهُمْ أَفْهَمُ النَّاسِ لَهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا أَقْوَمَ النَّاسِ بِهِ وَأَعْمَلَهُمْ بِمُقْتَضَاهُ. وَهَكَذَا كَانَ خِيَارُهُمْ وَصَفْوَتُهُمْ مِنَ الْخُلَّصِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَمَنْ شَابَهَهُمْ وَتَابَعَهُمْ[2]. وقال أصحاب التفسير الوسيط: وإن القرآن لشرف لك ولقومك وللعرب جميعاً، فقد نزل بلغتهم على نبيّ منهم، وكل من آمن من الشعوب غير العربية تعلموا لغة العرب لكي يفهموا لغة القرآن والمرادَ منه

(١) الزخرف: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٠).

أَمراً ونهياً، وجميعَ ما فيه من الأنباءِ، فشَرُفوا بذلك[١].

إذاً شرّف الله تعالى العرب بأن اختار خاتم المرسلين وإمامهم منهم، كما شرّفهم حين أنزل القرآن الكريم بلسانهم. وقد فهم الجيل الأول من الأمّة المحمّدية وهم المهاجرون والأنصار معنى هذا التشريف، فقاموا بشكره وأَوْفوه حقّه، حتى أثنى الله تعالى عليهم في القرآن الكريم. قال تعالى فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[٢].

فهذه الآية الكريمة نزلت في الثناء على جميع الصحابة رضي الله عنهم، إذ كانوا هم المخاطَبين وقت نزول هذه الآية الكريمة، وكان غالبيّتُهم من العرب، كما يندرج تحت هذا الثناء كل من سار على درب الصحابة وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، سواء كان من العرب أو من غيرهم. قال ابن كثير رحمه الله: وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَّةِ كُلُّ قَرْنٍ بِحَسْبِهِ، وَخَيْرُ قُرُونِهِمُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ الَّذِينَ

(١) التفسير الوسيط (٩/ ٨١١)

(٢) آل عمران: ١١٠.

يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم[١].

ولمّا بلغت الأمّة المحمّديّة من الخيريّة هذا المبلغ العظيم، حيث فاقوا الأمم السابقة بصدقهم وإيمانهم والتزامهم بتعاليم الرسل، منحهم الله تعالى قيادة البشرية والقِوامة على الناس. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢]. الوسط هنا بمعنى الأخْيَر والأفضل، والشهادة على الناس تأتي بمعنى القِوامة على الناس. أي: جعلناكم خير الأمم، لتتأهّلوا بذلك لحمل أمانة القِوامة على البشرية.

روى الشيخان عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**». وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**». قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي»، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٨٠).

(٢) البقرة: ١٤٣.

اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**»[(١)]. أي: أنتم المؤهّلون، أيّتها الأمة المحمّديّة، كي تحكموا على الناس فتُبيّنوا المُهتدي من الضالّ منهم، وتُبيّنوا المُصلح من المُفسد منهم، وتُبيّنوا الطيّب من الخبيث منهم، لأنّ معكم منهج واضح يَهدي إلى الحق ويُبَصّر به، وعندكم من العدل والإنصاف ما يمنعكم من ظلم البشر، كما عندكم من الرحمة بالناس ما سبقتم به الأمم كلها. روى البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «خَيْرُ النَّاسِ للنَّاسِ...»[(٢)]، قال ابن كثير: وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ[(٣)].

فأنتم المؤهّلون، أيّتها الأمّة المحمّديّة كي تقودوا الناس إلى طريق السعادة، وتُرشدوهم إلى ما ينفعهم في

(١) أخرجه البخاري برقم ١٣٦٧، ومسلم برقم ٩٤٩ واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم ١٨٣٧.
(٣) تفسير ابن كثير (٢/٩٣).

الدنيا والآخرة، بسبب ما أوتيتم من الهداية العظيمة. وأنتم المؤهّلون، كي تحكموا على الناس وتفصلوا بينهم في نزاعاتهم، بسبب ما أوتيتم من حب العدل. وأنتم المؤهّلون كي تأخذوا بيد الضعيف والمسكين والخائف من البشر، بسبب ما أوتيتم من الرّحمة الواسعة.

فهذه الأدلّة وغيرها تبيّن أن القيادة الدينيّة للبشرية قد تحوّلت من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، لأنهم حملوا تعاليم الرسل بصدق ولم ينافقوا، كما كان حال كثير من بني إسرائيل. ولهذا لما بيّنت الآية الكريمة خَيْريّة هذه الأمّة، عرّضت بذِكر الأمم السابقة، وأنها لم تكن على قَدْر المسؤولية. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[1]. أَيْ: قَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ آمن بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ على الرسل الكرام، وَأَكْثَرُهُمْ بقي عَلَى الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ وَالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ.

ولهذا لمّا تخلّت الأمّة عن مسؤوليّتها، وأفلتت زمام القيادة من يدها، أمسك به هؤلاء اليهود والنصارى، فعاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الكفر

(١) آل عمران: ١١٠.

والضلال في كل صُقع وناحية، حتى غصّت الدنيا بظلمهم وفسقهم وفجورهم، فكانوا وبالاً على البشريّة.

وكيف تتوقّع البشرية الهداية من هؤلاء، وقد عَبَدوا أهواءهم وتنكّبوا طريق المرسلين! قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[1].

وكيف تتوقّع البشريّة الرحمة من هؤلاء، وهم أصحاب القلوب القاسية، كما وصفهم الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[2].

لذلك الأمّة مطالبة اليوم وأكثر من أيّ وقت مضى: أن تستعيد زِمام القيادة من هؤلاء المجرمين رحمة بها ورحمة بالبشريّة.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) البقرة: ٧٤.

## ❍ الفائدة الرابعة: بين طالوت الإسرائيلي وجالوت الفلسطيني:

لقد لاحظتُ أثناء اطّلاعي على عددٍ من المقالات والمواضيع التي تحدّثت عن فلسطين، وحقّ العرب في أرض فلسطين دون اليهود ومزاعمهم الباطلة، لاحظتُ بعض المغالطات الشرعيّة، فأحببت التنبيه منها والإشارة إليها.

بعض المقالات تحدّثت عن طول الفترة الزمنيّة التي قضاها العرب في فلسطين، وعن قِصَر الفترة الزمنيّة التي قضاها بنو إسرائيل في فلسطين، لتثبت بذلك حق العرب في فلسطين دون غيرهم.

وبعضها أعلن الوقوف إلى جانب جالوت في حربه مع طالوت، بحجّة أن جالوت وقومه كانوا السكّان الأصليّين لأرض فلسطين، وأما طالوت وجنده من الإسرائيليين فكانوا غزاة مُعتدين.

فهؤلاء لجهلهم يقيسون الأمور بمقياس الوطنيّة والقوميّة، ولا يراعون أمر الله وحكمه. لذلك تراهم يُعادون كل من كان من بني إسرائيل ولو كان من الأنبياء والصالحين، ويُوالون كل من كان من الفلسطينيين ولو كان من أعداء الله الكافرين. وهذه عصبيّة جاهليّة لا تمتّ إلى الإسلام بصلة.

فالإسلام لم يفرّق بين الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ، بل دعا إلى الإيمان بهم جميعاً، والثناء عليهم جميعاً، سواء كانوا من العرب أو من الكلدانيين أو من بني إسرائيل. فالرسل الكرام هم صفوة الله من خلقه، وهم أصدق الناس وأبرّ الناس، لذلك اصطفاهم الله تعالى من دون سائر الناس لحمل رسالته وتبليغها للناس، فالطعن بواحد منهم هو طعن بهم جميعاً، والكفر بواحد منهم هو كفر بهم جميعاً. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾[1].

والإسلام كذلك يعتبر أن الفترات الزمنيّة التي حكم فيها الأنبياء والصالحون من بني إسرائيل في فلسطين تمثّل تاريخاً مشرِقاً من تاريخ الإسلام ومن تاريخ فلسطين، ويجب على المؤمنين أن يتغنَّوْا به ولا يتعيّرون منه.

فقد سكن فلسطين في الماضي أجيال مؤمنة من بني إسرائيل وحكموها بالعدل، سواء في عهد يوشع بن نون عليه السلام أو في عهد طالوت رحمه الله أو في عهد داود

(١) النساء: ١٥٠ ـ ١٥١.

وسليمان عليه السلام أو في غيرها من عهود صالحيهم.

كما سكن فلسطين في الماضي أيضاً أجيال كافرة من العرب وحكموها بالظلم، سواء في عهد جالوت أو في غيره من العهود. وبسبب كفرهم وإفسادهم في الأرض سلّط الله تعالى عليهم المؤمنين من بني إسرائيل، وأورثهم أرضهم وديارهم.

وكذلك لما غيّر بنو إسرائيل ما كانوا عليه من الخير والصلاح، واستبدلوه بالشرّ والإفساد في الأرض، استبدل الله تعالى بهم أمّة صالحة، وهي أمّة محمد ﷺ، فأورثها بيت المقدس والمسجد الأقصى وبلاد الشام والعراق وغيرها من بلاد الله، بسبب صلاحهم واتّباعهم لأمر الله ورسله، وليس بسبب كونهم من العرب أو كونهم أوّل من سكن هذه الأرض، أو كونهم أطوَل الساكنين فيها مدّة زمنيّة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾[1]، قال: كان بنو إسرائيل أفضل العالم في زمانهم، لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

(١) المائدة: ٢١.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[١]، لأنهم في ذلك الوقت هم أهل الإيمان، ولذلك كتب لهم النصر على أعدائهم العمالقة، فقيل لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾، والأرض المقدّسة هي فلسطين. وإنما كتب الله أرض فلسطين لبني إسرائيل في عهد موسى، لأنهم هم عباد الله الصالحون، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[٢]، و﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[٣]. إذاً المتقون هم الوارثون للأرض، لكن بني إسرائيل اليوم لا يستحقّون هذه الأرض المقدّسة لأنهم ليسوا من عباد الله الصالحين، أما في وقت موسى فكانوا أوْلى بها من أهلها، وكانت مكتوبة لهم وكانوا أحقّ بها، لكن لما جاء الإسلام الذي بعث به النبي ﷺ صار أحقّ الناس بهذه الأرض المسلمون[٤].

---

(١) البقرة: ٤٧.

(٢) الأنبياء: ١٠٥.

(٣) الأعراف: ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن لمحمد صالح العثيمين (١١٧/٣).

## ❍ الفائدة الخامسة: تطوّر العلاقة بين اليهود والنصارى:

بعد مبعث عيسى عليه السلام، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، آمنت به طائفة من بني إسرائيل وهم النصارى، وذلك قبل وقوع التحريف في دينهم. وكفرت به طائفة أخرى وهم اليهود، فلم يعترف اليهود بنبوّة عيسى عليه السلام، بل اتّهموه بالكذب كما اتّهموا أمّه بالزنا، وحاولوا صلبه، ولكن نجّاه الله تعالى منهم. ثم قام اليهود باضطهاد أصحاب عيسى عليه السلام بعد رفعه وآذوهم وطاردوهم، وبذلك تحوّل أتباعه من النصارى إلى أعداء لليهود. ولمّا صار للنصارى سلطان، باعتناق الدولة الرومانية للنصرانية، ولكن بعد تحريفها، قاموا بالانتقام من اليهود. فلم يسمحوا لليهود بالعودة إلى بيت المقدس بعد إذ أخرجهم الرومان منها، كما حوّلوا ساحة المسجد الأقصى ومكان الصخرة إلى مزبلة، نكاية باليهود، حيث كانوا يتوجّهون في صلاتهم إلى جهة الصخرة. كما حوّل النصارى قِبلتهم في الصلاة من جهة الصخرة إلى جهة الشرق مخالفة لليهود. وكانوا كلما سنحت لهم الفرصة للانتقام من اليهود لم يقصّروا، كما فعلوا في الأندلس وفي أوروبا وغيرها من البلاد.

ولقد استمرّ العداء بين النصارى واليهود

مستحكماً، حتى وقع اختراق اليهود للنصرانيّة عبر حركة مارتن لوثر التجديدية، وذلك في القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا. وقد عُرف أتباع هذه الحركة باسم البروتستانت أي المحتجّين كما عرفوا باسم الإنجيليين.

وقد تركزّت دعوة مارتن لوثر على العودة إلى أصول الدين، أي العودة إلى أسفار الكتاب المقدّس فقط من أجل فهم الدين، دون العودة إلى أي مصدر آخر للفكر الديني، مثل كتابات الآباء والقدّيسين ووصايا الكنيسة وغيرها. وحثّ مارتن لوثر كل نصراني على الاطلاع بنفسه على الكتاب المقدّس وفهمه بنفسه من دون إملاء أحد عليه.

وبذلك قامت دعوتُه على تجريد الكنيسة الكاثوليكية من استئثارها بالكتاب المقدّس تلاوة وتفسيراً، ونَزْع هالة العصمة من الخطأ عنها، حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أحاطت بها نفسها.

وقد شاع إطلاق وصف الإصلاح الديني على التغيير الذي أدخله البروتستانت على الكنيسة الكاثوليكية.

وانتشرت الدعوة البروتستانتية في ألمانيا وهولندا وبلجيكا والسويد والدانمرك، ثم انتقلت إلى بريطانيا وبعدها إلى أمريكا. وأصبح للبروتستانت كنائس خاصة

بهم ورجال دين تابعين لهم، كما انتشر الكتاب المقدّس بين أيدي الناس وأصبح في متناوَل الجميع، وتُرجمت أسفارُه إلى لغات كثيرة[١].

وبرجوع البروتستانت إلى الكتاب المقدّس اضطروا للاطلاع على التوراة وقراءتها، لأن النصارى يُطلقون اسم الكتاب المقدّس على مجموع التوراة والإنجيل، أو ما يُسمّى عندهم بالعهد القديم والعهد الجديد.

وقد تأثّر مارتن لوثر بالتوراة تأثراً كبيراً، حتى ألّف كتاباً بعنوان «عيسى ولد يهودياً»، ونشره في سنة ١٥٢٣م. وممّا جاء فيه: «إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدّس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإنّ علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فُتات مائدة أسيادها، كالمرأة الكنعانية تماماً»[٢].

وهكذا انشطرت النصرانية بعد مارتن لوثر إلى

---

(١) انظر المسيح الدجال ومعركة هرمجدون (ص٢٠)، لهشام محمد أبو حاكمة.

(٢) الصهيونية والمسيحية (ص٣٤)، لمحمد السمّاك. عن كتاب المسيح الدجال ومعركة هرمجدون.

شطرين، فيما يتعلق بالموقف من اليهود: شطر أبقى على عقائد النصرانية المُعادية لليهود، وهم الكاثوليك والأرثوذكس. وشطر أقبل على إجراء تغيير جذري في تصحيح العلاقة مع اليهود، وهم البروتستانت. ثم تطوّرت العلاقة بعد ذلك بين البروتستانت واليهود؛ من إعجابٍ بالتوراة وتأثرٍ بها إلى احتضان كامل لليهود، وتأييدهم ومدّهم بكلّ أسباب العون والمساعدة حتى قامت دولتهم وقويت شوكتهم في العصر الحاضر[١].

وهكذا تحوّل البروتستانت من نصارى مُعادين لليهود إلى نصارى معظّمين لليهود، ومعترفين بسابقتهم وفضلهم، بل أصبح البروتستانت هم المدافعين الأُوَل عن اليهود، والمطالبين بإعادتهم إلى فلسطين، فصاروا أقرب إلى اليهودية منهم إلى النصرانية، لذلك أُطلق عليهم اسم الحركة الصهيونية النصرانية.

قال صاحب كتاب المسيحيّة والحرب: الحركة الأصوليّة في إنكلترا أعادت قراءة الكتاب المقدّس، وأحْيَت التفسيرات الحَرْفية، ممّا ساعد على الربط بين اليهود والمسيحيّين في المصير والتاريخ. فعندما يُنادي

(١) انظر زيارة بابا الفاتيكان: خطوات جديدة على طريق الاختراق لعبدالعزيز كامل. عن مجلة البيان (١٠٨/١٥٠).

الأصوليّون الأطهار بعودة اليهود، فإنّ هذه العودة تعني التطبيق الحَرْفي لنُبوءات العهد القديم باعتبارها ما زالت قائمة... وهذا ما يفسّر لنا لماذا خرجت الدعوات الأولى لتأييد اليهود من إنكلترا، ولماذا كانت إنكلترا هي الحامي الأول لدولة إسرائيل الصهيونية. كذلك ما سبق يفسّر لنا أيضاً لماذا أصبحت أمريكا هي المؤيّد الأول والحامي الأوّل لدولة الاحتلال الصهيوني، فكلٌ من إنكلترا وأمريكا قامتا في تاريخهما على جذور أصوليّة[١].

قالت الكاتبة الأمريكية لي أوبرين: «إن المذاهب اللاهوتيّة لكثرةٍ من المسيحيين البروتستانت، تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتيّة، وتعتقد أيضاً أن تجمّع اليهود في فلسطين مجرّد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح، ولهذا فإن أنصار السفارة المسيحيّة الدوليّة في القدس[٢] يشجّعون محاولات تنصير أتباع أيّ ديانة باستثناء اليهود، إذ إنه من المحرّم عليهم

(١) المسيحية والحرب لرفيق حبيب. عن كتاب المسيح الدجال ومعركة هرمجدون (ص ٢٢).

(٢) أنشئت هذه السفارة في أيلول ١٩٨٠م، وتقف وراءها المنظمات الإنجيلية الأمريكية، وقد أصدرت فور إنشائها نشرة استهلتها بقولها: ليكن دعاؤكم ضد الروح الإسلامي. وقالت: إن وجود مسجد إسلامي في أقدس بقعة في القدس وصمة عار للموقع المقدّس للهيكل.

التبشير بينهم؛ لأنهم سيؤمنون تلقائياً بالمسيح عندما ينزل»[١].

هذا بالنسبة للبروتستانت، إلا أنّهم رغم تقاربهم الشديد مع اليهود، فهم لا يمثّلون سوى نسبة السُدس من مجموع النصارى في العالم، وكذلك الأرثوذكس؛ بينما يمثّل النصارى الكاثوليك القسم الأكبر من أمّة النصارى، إذ يبلغ رعايا الكنيسة الكاثوليكية وحدهم ملياراً ونيّفاً.

وأما بالنسبة للكاثوليك، فقد اتّخذت الكنيسة الكاثوليكيّة منذ البَدء موقفاً عدائيّاً من اليهود، ينطلق من صُلب معتقداتهم الدينيّة. فالعداء لليهود يمثّل ركناً أساسياً في عقيدة النصارى الكاثوليك، بل اتخذوا الصليب شعاراً دينيّاً لهم، وما ذلك إلا ليُحيُوا في نفوس أتباعهم العداوة لليهود الذين تسبّبوا في صلب المسيح عليه السلام بزعمهم.

وهكذا استمرّ الصراع بين الكاثوليكية واليهوديّة حتى العصر الحديث، ولم يتأثّروا بانحراف البروتستانتيّين ولا غيرهم. وعندما ظهرت الحركة الصهيونيّة الحديثة في

(١) المنظمات اليهودية الأمريكية، ونشاطاتها في دعم إسرائيل، ص ٢٨٦ تأليف لي أوبرين. عن مقال بناء الهيكل الثالث... سباق مع الزمن! لعبدالعزيز كامل. مجلة البيان (٧٨/١٣٥).

أواخر القرن التاسع عشر للميلاد على يد تيودور هرتزل، اتّخذت الكنيسة الكاثوليكيّة موقفاً مُناهضاً لتلك الحركة، برغم حرص الصهيونيّة العالميّة وقتَها على كسب كنيسة روما لجانبها في مشاريعها المستقبلية في المنطقة، أو تحييدها على الأقل. ولكن الكاثوليك ظلّوا على موقفهم المُعادي لليهود ما داموا باقين على عداوة المسيح وعدم الاعتراف به.

وعندما عُقد لقاءٌ بين هرتزل وبابا الفاتيكان في زمنه، رفض ذلك البابا، وهو بيوس العاشر، التماس اليهود بالتجاوب مع المطالب الصهيونيّة باستيطان أرض فلسطين، بل إن البابا اشترط على هرتزل صراحة في ذلك اللقاء الذي تم في ١٩٠٤/١/٢٥م، أن يتنصّر اليهود أولاً قبل الحديث في أيّ موضوع يتعلق بالعودة إلى الأرض المقدّسة، وقال له: «إنّ بقاءكم على انتظار مسيح غير يسوع يجعلكم باعتقادكم هذا منكرين ألوهية يسوع، ولا يمكننا حينئذ مساعدتك»[١].

وعندما صدر وعد بلفور سنة ١٩١٧م على لسان

(١) يوميات هرتزل، ص ٣٠٦١. عن مقال زيارة بابا الفاتيكان: خطوات جديدة على طريق الاختراق لعبدالعزيز كامل. مجلة البيان (١٠٨/١٥٠).

الملكة البريطانيّة، رفضته البابويّة الكاثوليكيّة ولم تعترف به. وعندما أُعلنت الدولة الصهيونيّة في سنة ١٩٤٨م لم تعترف البابويّة الكاثوليكيّة بها. وعندما احتلّ اليهود القدس ثم أعلنوها عاصمة موحّدة أبديّة لهم، لم تعترف البابويّة الكاثوليكيّة بذلك، وظلّ الأمر على هذا الحال حتى انتصف القرن العشرون وجاء عقد الستينيّات.

شهد عقد الستينيّات وصول أول رئيس إلى سُدّة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية من الطائفة الكاثوليكيّة، وهو الرئيس جون كينيدي. ومع بداية ولايته بدأ اللوبي الصهيوني بالتعاون مع رجال دين من الكاثوليك الأمريكيّين في الضغط على الرئيس الأمريكي لمطالبة الفاتيكان باتخاذ مواقف مغايرة من الديانة اليهوديّة والدولة اليهوديّة. وبالفعل بدأت تلك المساعي تؤتي بعضاً من ثمارها؛ إذ اتّخذ المجمع المسكوني النصراني المنعقد عام ١٩٦٢م قراراً بتبرئة اليهود من دم المسيح. ثم بدأ الأمريكيّون الكاثوليك في نشر مُناخ جديد يُطالب بتطبيع العلاقة بين الكاثوليكيّة العالميّة ودولة إسرائيل. فأصدر القِسّ الأمريكي الكاثوليكي إدوارد فلانيري وثيقة في ١٩٦٩/١٢/١م يُطالِب فيها الكنيسة الكاثوليكيّة باتخاذ موقف لاهوتي جديد من دولة إسرائيل. وطالب بعده الأسقف أوستريشر في مقال نشرته

صحيفة نيويورك تايمز في ١٩٧١/٥/٢٦م بالاعتراف بحقّ اليهود في القدس، وقال: «إن القدس مدينة يهودية... أطالب المسيحيين بالاعتراف اللاهوتي بالصهيونيّة...، إن إسرائيل هي تعبير عن إرادة الله»[١].

ثم تطوّر النشاط من شكل فردي إلى شكل جماعي، ففي تاريخ ١٩٨٤/١١/٢٣م وقَّع أكثر من عشرين نائباً كاثوليكيّاً في مجلس النوّاب الأمريكي على رسالة إلى بابا الفاتيكان يُطالبونه فيها بالاعتراف الرسمي بـ إسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها.

وبالرغم من هذه المساعي المحمومة من نصارى أمريكا الكاثوليك، إلا أن اليهود ظلوا يَشْكون من وجود عثرات كبيرة تعترض مجرى التطبيع بين الكاثوليكيّة العالميّة والصهيونيّة العالميّة، وهي:

١ ـ عدم اعتراف الفاتيكان بـ إسرائيل باعتبارها دولة.

٢ ـ عدم الاعتراف بالقدس عاصمة موحّدة لها.

٣ ـ عدم الاعتذار عن سكوت البابويّة الكاثوليكيّة

---

(١) زيارة بابا الفاتيكان: خطوات جديدة على طريق الاختراق. مجلة البيان (١٥٠/١٠٨).

على جرائم النازيّة في حقّ اليهود أثناء الحرب العالميّة الثانية.

٤ ـ عدم إدانة معاداة الساميّة.

٥ ـ عدم الاعتراض على قرار الجمعيّة العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونيّة حركة عنصريّة.

وهكذا بقيت العلاقة فاترة بين الكنيسة الكاثوليكيّة واليهود حتى تولى كرسي البابويّة البابا يوحنا بولس الثاني في عام ١٩٧٨. وفي عهده قَطَعت الكاثوليكيّة أوسع خطاها وأسرعها نحو التقارب مع اليهود. فمنذ أن تولّى منصبه وهو يسير بخطى حثيثة نحو واقع جديد لتقريب الشُّقة بين الكاثوليكيّة واليهود. فأخذ هذا البابا على عاتقه إزالة جميع العقبات التي تقف حائلاً دون الوِفاق التاريخي مع اليهود، وشرع في تذليلها الواحدة تلو الأخرى.

ـ أما الاعتراف بدولة إسرائيل، فقد أعلن باسم الفاتيكان اعترافه الرسمي بدولة إسرائيل في عام ١٩٩٣م. ثم أقام علاقات دبلوماسيّة كاملة معها في عام ١٩٩٤م.

ـ وأما الاعتراف بالقدس عاصمة موحّدة لإسرائيل، فقد أتى به ضِمناً في إطار زيارته لتل صهيون، حيث ألقى كبير حاخامات إسرائيل كلمة أمام

البابا أكّد فيها على أن القدس هي العاصمة الأبديّة الموحّدة لدولة إسرائيل، ولم ينبِس البابا ببِنت شَفة اعتراضاً على هذه العبارة التي قيلت بمناسبة استقباله.

ـ وأما الاعتذار، فقد أقرّ به قبل زيارته الأخيرة إلى الشرق الأوسط وأثناءها؛ إذ قام بوضع إكليل من الزهور على النصب التذكاري لضحايا المحرقة في متحف (يافا شيم)، ودعا في كلمة ألقاها هناك إلى إقامة جسور جديدة مع اليهود تعتمد على الجذور المشتركة بين الديانتين، وقال معتذراً عن المحرقة بلسان فصيح: إنه لا توجد كلمات تكفي للتعبير عن الأسف على المأساة المروّعة التي حدثت ضد اليهود.

فجمع كبير الكاثوليك في تلك الزيارة كل ما في جُعبته لإهدائها لليهود حتى أقرّ أعينهم، وأجرى الثناء على لسان كبيرهم باراك الذي وصف الزيارة بأنها: رحلة التداوي التاريخيّة، وقال: إن البابا أسهم بشكل كبير في تحقيق تغيير تاريخي في اتجاه العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل[١].

وهكذا تمّ التقارب الكبير بين النصارى بمختلف

(١) زيارة بابا الفاتيكان: خطوات جديدة على طريق الاختراق. مجلة البيان (١٥٠/١٠٨).

طوائفهم وبين اليهود. وهذا التقارب لم يتوثّق بينهما فقط بسبب تشاركهم في الجذور التاريخيّة، بل زاد في توثقه أيضاً اعتقادهم بأنهم مشتركون في المصير نفسه، كما أشارت إليه نُبوءات الكتاب المقدّس عندهم. فاليهود يعتقدون بخروج المسيح في آخر الزمان للمرّة الأولى، وأنه سوف يُتوَّجُ ملِكاً على اليهود. وسوف يَتّخذ من القدس عاصمة أبديّة لمملكته، كما يَتّخذ من الهيكل مقرّاً لحكمه، وأنه سوف يحارب أعداء اليهود وينتصر عليهم. ويعتقدون أيضاً أنه بخروج المسيح سيبدأ فردوس اليهود على الأرض، فيحكمون فيه العالم لوحدهم. ومن هنا يرى اليهود أنّ بناءهم للهيكل ما هو إلا تمهيد لمجيء المسيح وتعجيل بخروجه، لأنّه لن يأتي قبل بناء الهيكل.

وأما النصارى فيعتقدون بمجيء المسيح أيضاً، ولكن للمرّة الثانية. وأنه بمجيئه هذه المرّة سوف يُؤمِن به اليهود ويتنصّرون، وأنّهم سيحاربون معاً أعداء المسيح ليَنعَم العالَمُ كلُّه بالسلام. وهناك طوائف كثيرة من النصارى تُشارك اليهود في معتقدهم بأن بناء الهيكل سوف يُعجّل بقدوم المسيح.

ومن هنا نفهم سرّ الدعم اللامحدود من النصارى لليهود، فقد مكّنوهم من إقامة دولة صهيونية في

فلسطين، ثم سارعوا إلى الاعتراف بها، كما يَسعَوْن جاهدين لإقناع العالم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحّدة للدولة اليهوديّة. ثم يغضّون الطرْف عن احتلال اليهود للمسجد الأقصى وإقامة الحفريات أسفله، تمهيداً لهدمه ثم بناء الهيكل مكانه، إذ كل ذلك يوطئ في اعتقادهم لمجيء المسيح إلى الأرض.

قال أحد حاخامات اليهود لقسّيس نصراني: إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرّة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرّة الأولى، فلنبدأ أولاً ببناء الهيكل، وبعد مجيء المسيح ورؤيته؛ نسعى لحل القضايا المتبقيّة سويّاً[١].

وأمر آخر يدفع النصارى أكثر فأكثر إلى مساندة اليهود، وهو: أن كلا الفريقين يعتقد بأن الذين سيقاتلهم المسيح في آخر الزمان إنّما هم المسلمون. فالنصارى يعتقدون أنّه بمجيء المسيح سوف يتنصّر اليهود ثم يجتمعون معاً على قتال المسلمين. في حين أن اليهود يعتقدون أنّه بمجيء المسيح سوف يتهوّد النصارى ثم يجتمعون معاً على قتال المسلمين. فكلا الفريقين يعتقد بأنّ المعركة الفاصلة التي ستكون في آخر الزمان، والتي

(١) بناء الهيكل الثالث... سباق مع الزمن! لعبدالعزيز كامل. عن مجلة البيان (٧٨/١٣٥).

يُسمّونها بمعركة هرمجدّون، إنما ستكون ضد المسلمين، وهذا ممّا يعزّز سبل التعاون بينهما ضد المسلمين باعتبارهم الأعداء المستقبليين للمسيح المنتظر.

وأما نحن المسلمين، فإننا نعتقد ـ وهو الحق ـ أن المسيح عليه السلام سيرجع فعلاً إلى الأرض، ولكن ليس بما يتوقّعه اليهود ولا بما يتوقّعه النصارى. بل سيبيّن للنصارى ضلالهم في العقيدة، فيكسر الصليب أمامهم ليُصدّقوا أنه لم يُصلب، ويبيّن ضلالهم في الشريعة، فيقتل الخنزير أمامهم ليعلموا أنه لم يُحلّه.

روى البخاري ومسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(١).

وسوف يصلي المسيح عليه السلام خلف إمام المسلمين، ليعلم النصارى أنّه متّبع لشريعة محمد ﷺ، وأنه عبد لله؛ ورسوله كما أخبر عنه القرآن الكريم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٤٤٨، ومسلم برقم ٢٤٢.

روى مسلم عن جَابِر بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»[1]. وعندها سوف يُسقطُ في أيدي النصارى ويُدركون أنهم كانوا في ضلال مبين، فإمّا أن يتّبعوه هذه المرّة بحق ويصبحوا مسلمين، وإما أن يبقوا في ضلالهم القديم.

وأما شركاؤهم من اليهود، فلن يؤمنوا بالمسيح هذه المرّة أيضاً كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة إلا من رحم الله تعالى منهم، بل سيُتَوّجون المسيح الدجّال ملِكاً عليهم ويَزعمون أنه هو المسيح الحقيقي، ويقاتلون معه المسيح ابن مريم عليه السلام. وسينصر الله تعالى المسيح بن مريم والمؤمنين معه على الدجّال والذين معه، وعندها سوف ينعم أهل الأرض بالسلام الحقيقي.

روى أحمد من حديث جابر بن عبدالله ﷺ، وهو حديث طويل عن الدجّال، وجاء فيه: «. . . **فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَتُقَامُ الصَّلَاةُ، فَيُقَالَ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ. فَإِذَا**

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٤٧.

صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْه[١]، قَالَ: فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاء[٢]، فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلاَّ قَتَلَهُ»[٣].

## ○ الفائدة السادسة: علاقة هيكل سليمان بالمسجد الأقصى:

الهيكل عند اليهود هو بيت الربّ ومكان العبادة المقدّس. ولم يتخذ بنو إسرائيل مكاناً ثابتاً للعبادة في عهد موسى عليه السلام بسبب الخوف من فرعون. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾[٤]. أي: وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون، بعد أن لجّ فرعون في طغيانه وفي إنزال العذاب بالمؤمنين، أن اتخذا لقومكما المؤمنين بيوتاً خاصّة بهم

---

(١) أي إلى الدجّال.

(٢) أي يذوب.

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٦٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم.

(٤) يونس: ٨٧.

في مصر، ينزلون بها، ويستقرون فيها، ويعتزلون فرعون وجنده، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولًا. وقوله ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾ أي: واجعلوا هذه البيوت التي حللتم بها مكاناً لصلاتكم وعبادتكم، بعد أن حال فرعون وجنده بينكم وبين أداء عباداتكم في الأماكن المخصّصة لذلك[١]. وهذا قبل هلاك فرعون، وأما بعد هلاكه ونزول بني إسرائيل في صحراء سيناء، فقد اتخذ بنو إسرائيل خيمة، يقال لها خيمة الاجتماع أو قبّة الزمان، وكانت لهم كالكعبة، يُصلون فيها وإليها ويتقرّبون عندها[٢].

وكانوا يضعون في هذه الخيمة تابوت العهد، الذي يحفظون فيه مقدّساتهم الدينيّة.

ولم تكن خيمة العهد ثابتة في مكان واحد لا يتغيّر، بل كانوا يحملونها معهم إذا ارتحلوا ويغيّرون مكانها.

ولما جاء عهد سليمان عليه السلام، وكان بعد موسى عليه السلام بحوالي ٦٠٠ سنة، ادّعى اليهود أنه بنى مكاناً ثابتاً للعبادة، وهو الهيكل، ووضع فيه تابوت

---

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي (٧/١٢٠).

(٢) البداية والنهاية (١/٢٨٧).

العهد. كما يدّعي اليهود أن هذا الهيكل قد تعرّض للتدمير مرّتين في حقبات تاريخيّة متفاوتة، لذلك يُطلقون على الهيكل الذي يُزمعون إنشاءه: الهيكل الثالث. ويؤكّد المتطرّفون من الحركة الصهيونيّة بأن مكان الهيكل الذي دُمّر هو نفسه المكان الذي بُني فيه المسجد الأقصى لاحقاً. أي أن المسلمين بَنَوْا المسجد الأقصى على أنقاض هيكل سليمان. ويزعمون أيضاً بأن حائط البُراق[١]، هو أحد أسوار هيكل سليمان المتبقيّة[٢]. ويُعتبَر هذا الحائط من أقدس الأماكن الدينيّة عند اليهود في الوقت الحاضر، وقد أطلقوا عليه اسم «حائط المبكى»، لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح[٣]. ويُرجع البعض تاريخ البكاء عندهم إلى عهد قسطنطين الكبير، إذ بعد أن شتّتهم الرومان في الأرض، في عهد القائد هادريان في القرن الثاني بعد المسيح، وفرّق جماعتهم وهدم هيكلهم، جاء بعده الإمبراطور

(١) سمي بذلك نسبة إلى دابة الرسول ﷺ التي ركبها ليلة الإسراء وربطها في ذلك الحائط، وكان اسمها البُراق.

(٢) هيكل سليمان هل هو حقيقة أم أسطورة. عن أرشيف ملتقى أهل الحديث (١٥٦/٩٠)، والمسجد الأقصى.. والزلزال القادم لعبدالعزيز كامل. عن مجلة البيان (٤٠/١٠٧).

(٣) الهيكل. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٤٢٧/١٠).

قسطنطين الذي اعتنق النصرانية، وأذِن لهم بالدنوّ مرّة في السنة من أسوار بيت المقدس ليندُبوا مجدهم الزائل، ولا زالوا إلى يومنا هذا يدنون من حائط البُراق، يندبون مجد مُلكهم الضائع ويبكون أطلال هيكلهم المُدمّر[1].

وجوابنا على مزاعمهم هذه بأن نقول: ثبت في شريعتنا أن سليمان عليه السلام قد بنى مسجداً على ساحة الأقصى المعروفة اليوم، كما ثبت أن هذا المسجد قد تهدّم بعد ذلك غير أن موضعه بقي معروفاً، فإن كان مراد اليهود بهيكل سليمان هو هذا المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام في موضع المسجد الأقصى اليوم، إلا أنّهم يُسمّونه هيكل سليمان بدل تسميتنا له بالمسجد الأقصى، وأنّهم بعد تدميره لاحقاً صاروا أحقّ بساحته من المسلمين، باعتبار أنها إرث عن نبيّهم سليمان عليه السلام، فنقول لهم:

**أولاً** ـ المسجد الأقصى لم يكن مختصّاً بنبي الله سليمان عليه السلام وحده، إذ إن سليمان عليه السلام لم يبتدئ تأسيسه وإنّما قام فقط بتجديد بنائه. فالمسجد كان موجوداً قبل سليمان عليه السلام، وبالتحديد من عهد إبراهيم

(١) مجلة المقتبس (٣١/٦١).

الخليل عليه السلام، ثم تهدّم البناء الأوّل فجاء سليمان عليه السلام فجدّد بناءه في الموضع نفسه، ثم تهدّم بناء سليمان عليه السلام بعد ذلك وجاء من جدّد البناء بعده، وهكذا دواليك حتى جاء الإسلام وليس في موضع المسجد أيّ بناء، فقام المسلمون ببناء المسجد الأقصى في الموضع نفسه.

**ثانياً** ـ لو افترضنا اختصاص هذا المسجد بسليمان عليه السلام، فالمسلمون أحقّ به من اليهود، لأن المسلمين أَوْلى بسليمان عليه السلام من اليهود. فالمسلمون يؤمنون أن سليمان عليه السلام كان رسولاً كريماً، وأنه مشى على خطى إخوته من الرسل الكرام في الدعوة إلى عبادة الله وحده والإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله تعالى، في حين أن اليهود خالفوا دعوة سليمان عليه السلام فوقعوا في الشرك، كما أنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا بأكثرهم، بل سليمان عليه السلام نفسه لم يسلم منهم، إذ اتّهموه بالسحر والكفر.

**ثالثاً** ـ كان هذا المسجد معموراً قبل سليمان عليه السلام وبعده، إذ عَمَره قبل سليمان عليه السلام رسل كرام، كما عَمَره بعد سليمان عليه السلام أيضاً رسل كرام، منهم زكريا عليه السلام وابنه يحيى عليه السلام وابن خالته عيسى عليه السلام، ولم يكن لليهود أيّ تعلّق بالمسجد في عهد هؤلاء

الرسل، بل كانوا لا يؤمنون بهم ولا يَؤمُّون المسجد للصلاة خلفهم فيه. ولما فتح المسلمون بيت المقدس لم يكن لليهود فيها وجود على الإطلاق بل كانوا ممنوعين من الإقامة فيها أصلاً.

**رابعاً** ـ لقد أمّ هذا المسجد عبر التاريخ رسلٌ كرام، وكان آخرهم صلاة فيه هو نبيّنا محمد ﷺ، ففيه صلى ليلة الإسراء والمعراج، ولم يكن ثمّة بناء، خلا سور قديم يَلُفّ ساحة المسجد الأقصى، فربط النبي ﷺ دابته البُراق بحلقة بابٍ من أبواب السور، ثم دخل عبر الباب إلى الساحة الخالية فصلى فيها. وجمع الله تعالى له فيه الرسل الكرام السابقين فصلى بهم إماماً. وهذا بيان بأن جميع رسل الله يقرون بنبّوته وفضله وتقدّمه عليهم، وإعلام بأنه الوارث الوحيد لهؤلاء الرسل في حمل الرسالة وتبليغ الدعوة لأنه خاتم الرسل، وتذكير بأنه أحقّ العالمين بالمسجد الأقصى لأنه ميراث إخوته من الرسل الكرام.

# الخاتمة

وفي الختام، فإن تاريخ القدس تاريخ حافل بالدروس والعبر كما مرّ معنا.

ومن أهم العبر التي ينبغي أن نسطّرها في ختام هذه الرسالة:

١ ـ إنّ الأمّة إذا تركت أمر الله وتخلّت عن الجهاد، فإنّ مصيرها التيه. والتيه لا يعني دائما معنى حِسيّاً من صحراء شاسعة ممتدة مترامية الأطراف، يسير فيها الناس إلى غير هدى، كما وقع لبني إسرائيل. بل التيه الأصعب هو التيه المعنوي، وهو ما وقعت فيه أمّتنا، من تخبّط وضياع وشرود عن سلوك طريق العزّة وتحرير المقدّسات.

٢ ـ إن ما تخسره الأمّة حين تتقاعس عن الجهاد هو أضعاف أضعاف ما تخسره حين تُقبل على الجهاد. ولو ذهبنا نُعدّ ما خسرته الأمّة اليوم من شبابها وطاقاتها

وأموالها وهي تسير في طريق التفاوض والحل السلمي مع اليهود، لرأينا أنه أكثر بكثير مما كانت ستخسره لو أنها سلكت طريق الجهاد لاسترجاع مقدّساتها.

٣ ـ تعلمنا من التاريخ أن قضيّة فلسطين يجب أن تكون قضيّة الأمّة كلها، وليست قضيّة الشعب الفلسطيني وحده. لذلك لم تتحرّر القدس من قبضة الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا بعد أن توحّدت مصر والشام.

٤ ـ واستفدنا أيضاً من التاريخ أن الروافض لم يكونوا في يوم من الأيام في صفّ الأمّة والدفاع عن مقدّساتها، بل سُرعان ما تنازلوا عن القدس للصليبيين لما حكموها في عهد الدولة الفاطمية. لذلك عَمَد صلاح الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلى إسقاط الدولة الفاطمية في مصر قبل تحرير القدس حتى يأمَن جانبهم. ومن يظنّ اليوم أنّ إيران سوف تحرّر فلسطين فلم يستفِد من التاريخ شيئاً. إنّ من أسلم العراق للأمريكان وأسلم سوريا للروس لن يكون يوماً حريصاً على مقدّسات الأمّة، ولن يحظى بشرف تحرير فلسطين أبداً.

٥ ـ الصراع في فلسطين هو صراع ديني، فالصهاينة لم يختاروا فلسطين لتكون وطناً لهم إلا بسبب ما تمثّله لهم من رمز ديني. وكذا الأمريكان والأوروبيون لم

ينصروا الصهاينة ويمكّنوا لهم في فلسطين إلا بدافع ديني. وأما من رأى أن الصراع له بُعد قومي، وأنه صراع بين العرب واليهود أو بين الفلسطينيين واليهود، وليس له أيّ بُعد ديني، فقد عَمِي عن رؤية الحق وخسِر معيّة الله ﷻ. وأخيراً نسأل الله تعالى أن يُهيّئ لهذه الأمّة من يقودها إلى طريق الحقّ والعزّة والكرامة، ويُعيد لها مقدّساتها، ليَنعم المؤمنون بالصلاة في مسرى رسول الله ﷺ.

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدّمة | ٥ |
| متن الحديث | ٧ |
| شرح الحديث | ٩ |
| من بنى الكعبة المشرّفة؟ | ١٥ |
| من بنى المسجد الأقصى؟ | ٢٣ |
| المراحل التي مرّ بها تجديد المسجد الأقصى | ٢٩ |
| تاريخ بني إسرائيل | ٣٠ |
| اختيار موقع المسجد الأقصى | ٣٨ |
| انتقال بني إسرائيل من فلسطين إلى مصر | ٣٩ |
| بنو إسرائيل في عهد يوشع بن نون عليه السلام | ٤٥ |
| فتح بيت المقدس | ٤٦ |
| أولاً: عهد القضاة | ٤٩ |
| ثانياً: عهد الملوك | ٥١ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


سِمات عهد الملوك ..... ٦٩
ثالثاً: عهد انقسام المملكة ..... ٧١
رابعاً: عهد سقوط المملكتين ..... ٧٣
تحقق الوعد الأول ..... ٧٤
خامساً: عهد العودة إلى بيت المقدس ..... ٨٠
اليهود تحت حكم الرومان ..... ٨٣
المسجد الأقصى في زمن زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ..... ٨٤
سادساً: عصر الشتات اليهودي ..... ٨٩
تحقق وعد الآخرة ..... ٩١
دخول الدولة الرومانية في النصرانية ..... ٩٥
المسجد الأقصى في عهد الرومان النصارى ..... ٩٨
المسجد الأقصى في زمن الإسراء والمعراج ..... ١٠٠
المسجد الأقصى في عهد الفتح الإسلامي ..... ١٠٢
المسجد الأقصى في عهد الاحتلال اليهودي ..... ١١٢
**فوائد الحديث** ..... ١١٤
- الفائدة الأولى: ميزة المساجد الثلاثة ..... ١١٤
- الفائدة الثانية: أوّل وآخر جهاد في الأرض إنما يكون على أرض فلسطين ..... ١١٧

الموضوع الصفحة


- الفائدة الثالثة: تحوّل قيادة البشرية إلى أمّة الإسلام ..... ١٢٢

**ذكر الأحاديث الواردة في فضل الصلاة في المسجد الأقصى** ..... ١٣٠

- الفائدة الرابعة: بين طالوت الإسرائيلي وجالوت الفلسطيني ..... ١٤٢
- الفائدة الخامسة: تطوّر العلاقة بين اليهود والنصارى ..... ١٤٦
- الفائدة السادسة: علاقة هيكل سليمان بالمسجد الأقصى ..... ١٦١

**الخاتمة** ..... ١٦٧

**فهرس الموضوعات** ..... ١٧١